

الهيئة
العامة
لقصور
الثقافة

آفاق عربية

عودة هولاكو

القضية

الواقع

ثلاث مسرحيات قصيرة

د. سلطان بن محمد القاسمى

إهـــــــداء ٢٠٠٨

السيدة / نعم الباز

جمهورية مصر العربية



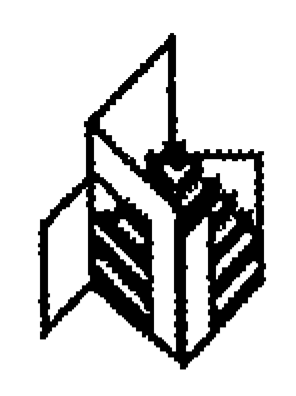
الهيئة العامـــة
لقصور الثقافة

آفاق عربية

ثلاث مسرحيات قصيرة

- عودة هولاكو
- القضية
- الواقع

د. سلطان بن محمد القاسمي



الهيئة العامة لقصور الثقافة

آفاق عربية (63)

(شهرية)

مارس / 2003

ثلاث مسرحـيات قصيرة

د. سلطان بن محمد القاسمى

التصحيح اللغوى : عادل سميح

تصميم الغلاف :

للفنان محمد بغدادى

المرسلات باسم مدير التحرير :
على العنوان التالى :
١٦ (أ) ش أمين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى : ١١٥٦١

المسرح السياسى
عند الشيخ الدكتور
سلطان بن محمد القاسمى
(جدل الراهن والتاريخ)

أ . د . محمد حسن عبد الله

(١) ثلاث إشكاليات

• إشكالية أولى عن الكاتب

هكذا يظل المسرح قادرًا على تقديم براهين غوايته ، وتفرد مكانته ، وأنه « أبو الفنون » عبر العصور . إن شوق المبدع فى الأدب « الرسالة » ، والأدب « الشعر » ، والأدب « الإبهار » لا يتحقق له فى جملته إلا حين يملك ناصية هذا الفن المسرحى الذى يحمل - فى جوهر فكرته ، كما فى وسائل توصيله ، وفى تلقيه - دلائل الإيمان بديمقراطية الرأى ، وحق الاختلاف ، حتى حين تكون الدعوة إلى الانضواء . إن جوهر الدراما يتحقق بالصراع ، والمفارقة ، أما خلق المسرحية فإنه لا يكتمل بغير أن تعرض أمام جمهرة من المشاهدين ، يقوم بهذا العرض التمثيلى فريق من المؤدين ينفردون ذواتًا ويتماهون موضوعًا ، أما شهود العرض فإنهم على عكس هذا : يتماهون ذاتًا لحظة التلقى ، وينفرد كلٌّ بما أدرك لنفسه من مضمون المسرحية . هذه آلاء فنّ

المسرح التى لا يشركه فيها فنٌ قولى آخر . لقد اعتملت هذه المعانى فى النفس وأنا أقرأ المسرحيات الثلاث : عودة هولاكو (١٩٩٨) ، القضية (٢٠٠٠) ، الواقع (٢٠٠١) ، وأقرأ - لامحالة - خصوصية وضع الكاتب : الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمى ، ولست أقصد بهذه الخصوصية أنه فى غنى عن التماس الرزق بالكتابة ، فكم من خليفة وأمير شغفته الكتابة حبًا ولم يكن ابن المعتز فى المشرق ، أو المعتمد بن عباد فى الأندلس مثلاً فريدًا فى هذا المجال ، وكذلك لم أقصد بالخصوصية أن إيقاع الوقت وقياس الزمن عند هذا الأمير الكاتب يختلفان عنهما عندنا نحن الذين نتخذ من الكتابة حرفة نفرغ لها حين تواتينا الرغبة لا نقدِّم عليها نشاطًا آخر مهما كانت أهميته ، فى حين قد لا يملك الأمير - الذى يملك أشياء كثيرة - حرية إرجاء شىء من واجباته الرسمية التى يقوم فيها بحق شعبه وحق موقعه السامى لإرضاء رغبة الانفراد للكتابة . لم أقصد إلى أحد الأمرين أو كليهما وحسب ، وإنما قصدت - إضافة إليهما - أنه ، وهو فى ذروة مقام المسئولية عن شعبه وحراسة مصيره ، يأخذ مكانًا محوريًا فى تكوين التراجيديا ، ومن طبيعة هذا المكان أنه يحدد مدى النظر إلى الموضوع (**المسرحى**) محكومًا بالموقع الخاص ، متأثرا به ، من ثم تكون الشمولية صعبة ،

وموضوعية التحليل ودقة التفسير أشد صعوبة !! فقد كان من تعليلات شرّاح أرسطو(**كتاب الشعر**) أن البطل التراجيدى - كما شرطه الفيلسوف الإغريقى - ينبغى أن يكون « ممن ذهب ذكره فى الناس وترادفت عليه النعم » ، وبعبارة عصرية يجب أن يكون ملكًا أو قائدًا عظيمًا ، من بين أهل السلطان والأمر النافذ ؛ لأن هذا المستوى من البشر هو - دون غيره - الذى يملك حرية الفكر الذى يتحول إلى قرار ، من ثم تكون الإرادة الإنسانية فى تمامها ، وتكون حرية العمل وتحدى عوامل الخذلان على أشدها ، ويترتب على الأمرين أن تكون مسئولية الحاكم عن المصير (**مصيره ومصير شعبه**) كاملة وغير منقوصة !! وإذًا فإننا لا نستطيع فى هذه القراءة النقدية أن نغفل أن الكاتب الذى حملته رغبة جارفة فى أن يكون فى « مرآب » عالٍ ، منفرد ، يتيح لنظرته أن تحيط بكل أطراف موضوعه وتفاعلاته ، وإنما مكانه (**الطبيعى**) أن يكون داخل هذا الموضوع مؤثرًا فى تفاعلاته . فكيف أتيح له أن يتغلب على هذه الازدواجية ، وأن يكون « موضوعيا » بأقصى درجة ، وأقسى درجة ، إلى أن يناله قدْر من الإدانة ، وإن تكن إدانة « تاريخية » تصيب الموقع والرمز ، وتتجاوز - بدرجة ما - ذات الكاتب / الحاكم ، ولسنا نقول - بدرجةٍ ما - إلا انصياعًا لإرادة النص ، الذى يأبى إلا أن يختار

من التاريخ ما يتخذ منه عدسة مكبرة كاشفة لهذا الزمن الذى نعيش وما نعاين من أحداثه القاسية ، وإن الأحداث لا تقوم بنفسها وإنما يصنعها الناس بالفعل أو بالقعود عن الفـــعل !! هذه إشكالية أولى عن الكاتب تسلمنا إلى :

• إشكالية ثانية عن المكتوب

ينطلق المكتوب من رغبة عقلية فطرية يغذيها الاطلاع الواسع حين تستعلى على أمر الحياة المألوفة ، لتتموضع فى التاريخ العربى المتشابك الفروع ، المستمر فى الامتداد ، بقصد « ترشيد » هذا الامتداد ، حتى لا يكرر « الغد » أخطاء « البارحة » . وهكذا سيكون « القياس » العقلى الذى يمارسه الكاتب مجال اختيار الزمان والمكان والحدث والرجال ، متكاملين غير متنافرين ، حتى يبدو المسلك الفنى مستقيمًا فى النظر العام ، مقبولاً من الضمير العربى المختص بهذه التجربة المعيّنة ، من هذه الزاوية بعينها . ذلك لأن القياس العقلى يتحقق فنيًا فى « الإسقاط » فإذا كان الإسقاط الفنى تأكيدًا لإصرار النظر العقلى على صدق القياس وسلامة المعيار والحكم هو الذى ينبثق منه الموضوع أو الحدث المسرحى المختار ، فمما يترتب على هذا أن تستمر ازدواجية الماضى / الراهن فى جدلية كاشفة تقدم الدليل إثر الدليل على صدق التوازى وصحة التشابه . يقول

الكاتب فى تقديم مسرحيته الأولى (**عودة هولاكو**) : « من قراءاتى لتاريخ الأمة العربية وجدت أن ما جرى للدولة العباسية قبل سقوطها مشابه لما يجرى الآن على الساحة العربية ، وكأنما التاريخ يعيد نفسه ، فكتبت هذه المسرحية من منظور تاريخى لواقع مؤلم . وإن أسماء الشخصيات والأماكن والأحداث فى هذه المسرحية كلها حقيقية ، وإن كل عبارة فى هذا النص تدل دلالة واضحة على ما يجرى للأمة العربية » . لقد تكررت العبارة بجوهر ما تدل عليه مع تغيير طفيف حيث تصدرت المسرحية التالية (**القضية**) ، وهذا التغيير موضوعى وفنى ، إذ استبعدت الإشارة إلى الدولة العباسية التى أطاحت بها جيوش هولاكو ، لأن موضوع القضية أندلسى يعود إلى زمن ملوك الطوائف ، وكذلك تحولت صيغة بعض الأسماء إلى أفعال (**مشابه أصبحت يشابه**) وأوغلت العبارة فى خصوصية المسرح (**تحولت** : « **ما يجرى** » **إلى** « **ما يحدث** ») أما المعنى المستقر فى الصيغتين فهو تحديد الباعث على الكتابة بأنه « التاريخ » ، غير أن الكاتب الذى يخوض أحداث زمانه ويواجهها من موقعه المسئول لا يعزل موضوعه بين أسوار التاريخ ، لا يكتب بروح « الإحياء » الذى يستدعى التمجيد ، وإنما بروح المراجعة والنقد الذى يمليه القياس فيتشكل فنيًا فى إسقاطات متتابعة ، تدل عليها عبارة

« كأنما التاريخ يعيد نفسه » ، وهذا يعنى أن الكاتب أزال ، أو كاد يزيل الحاجز التاريخى ؛ ليؤكد لنا أن الحدث نفسه لا يزال ممتدًا ، وأن النتيجة المخففة التى انتهى إليها الوضع قديمًا من العار أن نلقاها بذاتها حديثًا ، لأن معنى هذا أننا أمة لا تستوعب تاريخها ، ولا تتعلم من أخطائها . أما لفظ « مشابه » أو « يشابه » ولفظ أداة التشبيه « وكأنما » فيعلنان للمتلقى أن الكاتب لا يقدم إليه عملاً وثائقيًا ، لأن « الوثائقية » تتطلب الحياد والموضوعية ؛ وهذا أول ما أعلن الكاتب فى التقديم نفسه أنه يتخلى عنه ، إذ يقدم فى هذه المسرحية « رؤية » ، « وجهة نظر » ، « موقف» من الراهن الذى تعيشه الأمة العربية ، غير أنه لا يريد – وهذا حقه – أن يسلك طرق المباشرة فى تصوير هذا الواقع وتفسيره ، وتحليله والحكم عليه ، لا يريد أن يكون كاتبًا واقعيًا/ سياسيًا ، أو بالأحرى : لا يريد أن يحبس فكره فى المنهج الواقعى . ولا يريد أن يكون إبداعه بالسياسة ، فالواقع التاريخى أقوى تجذرًا بامتداده الزمانى ، والحدث الذى تمخض عن هزيمة حضارية أو عسكرية هو أقوى انتماء للسياسة وتدبير الملك من أيديولوجيات الراهن العبثى المضلل والمتداخل الذى نعيشه خاضعين مكرهين . إن النص على أن أسماء الشخصيات والأماكن والأحداث حقيقية (**بمعنى أن لها وجودًا تاريخيًا**

وليست من صنع المخيلة) يدل على الانتساب التاريخى ، يضاف إليها « أن كل عبارة فى هذا النص تدل دلالة واضحة على ما يجرى **(الآن**) للأمة العربية » تعنى أن تفاعلات الحدث التاريخى لا تزال تتشكل ، وأننا لابد أن نملك الوعى بما جرى ، لنفهم جيدًا وجهة ما يجرى .

فى تقديم المسرحية الثالثة (**الواقع**) اختلفت العبارة ، بل حركت « الرؤية » بعض الشيء فى اتجاه التفاؤل ، وإن يكن تفاؤلاً قدريًا وإيمانيًا ، لا ينهض على ثوابت موضوعية استخلصت من « قراءة مختلفة » للتاريخ ، أو بشائر تومض فى الأفق القريب أو البعيد ترهص بانفراج ما . إن موقف الكاتب فى جوهره لم يختلف فى (**الواقع**) عنه فى المسرحيتين السابقتين (**عودة هولاكو**) ، و (**القضية**) ، إذ اختار فى المسرحيات الثلاث موضوعات ترجع إلى أزمنة الهزيمة والسقوط **(العسكرى والحضارى**) ، فـ (**عودة هولاكو**) عن سقوط دولة الخلافة العباسية تحت سنابك الزحف المغولى **(٦٥٦ هـ)** ، و(**القضية**) عن استسلام أبى عبد الله الصغير ، ملك غرناطة ، آخر ملوك العرب فى الأندلس وخروج العرب والمسلمين من تلك الديار كرهًا . أما (**الواقع**) فإنها مسرحة لحقبة تاريخ القدس إبان الحروب الصليبية . ويتأكد قصد النقد والرفض الحاد فى عملية

الانتقاء التى يمارسها الدكتور سلطان بن محمد القاسمى للامتداد الزمنى الذى يؤطر الحدث المسرحى النامى ، إنه لم يجرد أمته العربية من قدراتها على صنع النصر ، فى مرحلة من تشابك المنازلات ، هكذا ناضل أمراء خوارزم نضالاً بطوليًا ، بل لقد امتنع الخليفة فى بغداد عن إعانة هولاكو إبان حصاره لإمارات إسلامية مع ما يجره هذا الامتناع من عداء مؤكد ، وكذلك انتصر العرب على الإسبان فى معركة « الزلاقة » ، وفى المسرحية الأخيرة دخل صلاح الدين القدس ظافرًا ، ولكن الكاتب أبى أن يخادع المتلقى (**القارئ أو المشاهد**) أو أن يهدئ من فورة جراحه بشىء من المراهم الوقتية ، لم يغمطه حقه من إحداث النصر ، ولكنه نصرٌ - أبدًا- لم يكتمل ، فقد انتهت بغداد إلى السقوط ، وتفرقت مملكة الإسلام فى الأندلس بعد الزلاقة ، وتنازل الملك الكامل عن القدس للفرنجة الغازين فى صفقة مريبة ، و هنا تتخطى الشريحة المنتقاة حدود التوثيق لتقيم مشهد « محاكمة » تاريخية تتم فيها المناجزة بالسلاح ، والمرافعة بالحجج ، ما بين عوامل النصر وأسباب الهزيمة ، وكانت الهزيمة ختامًا فى عملين . أما المسرحية الأخيرة ، فإنه على رغم من فعلة الملك الكامل (**الأيوبى**) ودخول الفرنجة المدينة المقدسة ، لا نجد الخذلان يتسرب إلى عزائم الناس

(**الشعب**) ، وإنما يستقر يقين بأن النصر وعدٌ يتحقق لا محالة . وهذه الصورة ، ما بين النصر المرحلى والهزيمة التى تسدل عليها الستار الأخير ، ليست موقفًا مفروضًا من الكاتب ، أورؤية متشائمة تستند إلى ما يشاهده من مواقعه الكاشفة لما يجرى فى الساحات العالمية خفية أو علانية ، وحسب ، وإنما أيضًا ، لأن : هكذا كان .. هكذا يكون .. إلا أن !! وهذه مسألة تسلمنا إلى إشكالية ثالثة ننهى بها هذه المقدمة ، وهى - بعد إشكالية الكاتب وإشكالية المكتوب .

• إشكالية الكتابة

وقد آثرت الكتابة هنا أن تتخذ من الشكل المسرحى طريقًا إلى المتلقى : مشاهدًا (**فى حالة عرض النص تمثيليًا**) وقارئًا فى المطبوع . والموقف المثالى (**فى النقد**) أن الموهبة المبدعة لا تكون موضع مساءلة عن اختيارها لنوع أدبى دون نوع آخر ، ولكنها تسأل من خلال النص عن مدى الإفادة من جماليات المعيار الذى اتخذته سبيلاً إلى إذاعة خطابها . إن وازع التواصل العريض مع الشريحة الأكبر من المتلقين تمثل الدافع الموازى لتوجه القراءة التاريخية التى كشفت عبر آلية القياس ألوانًا من التشابه بين ما كان ، وما يتكوَّن الآن . إن مستوى الخطاب فى « هكذا حالة » هو قوميٌ بالضرورة ، فهذا « الذى كان » حدث

شامل أثَّر فى مسيرة الأمة ، وهذا « الذى يتكون » تتعرض له الأمة كذلك ، وليس من شك فى أن العرض المسرحى يحظى بقبول وإقبال ، كما تتعدد وسائل إذاعته بما يتجاوز قدرة أى نوع أدبى آخر . وقد حمدنا للدكتور القاسمى أنه آثر المسرح (**وله مؤلفات أخرى متعددة تدل على قدرة التنوع والغزارة**) الذى هو - كما أشرنا سابقًا - بطبيعة تكوينه الصراعى - ووسيلة نقله (**فريق التمثيل**) وطريقة تلقيه بين جمع فى الصالة - ينفرط إلى جماعات أصغر ، تنحل إلى أفراد ، هذا الشكل هو الأقوى إيغالاً فى ديمقراطية الفكرة ، والبناء ، والتجسيد ، والتلقى ، أكثر من أى نوع آخر . على أنه من الضرورى أن ندرك أن الكاتب حين انحاز إلى « التاريخ » ، أو بعبارة أخرى أقرب إلى دقة المعنى المراد : حين رأى فى قراءته انتقاء الشريحة (**أو المادة الخام**) التى يعمل عليها من المصادر التاريخية ، فإنه بهذا الانحياز قد فرض على حرية الموهبة عدة قيود يحتاج التغلب على بعضها ، كما يحتاج التنسيق والمواءمة فيما بينها إلى كثير من المعاناة والدربة المتمرسة . فهناك قيد الحقيقة التاريخية والحقيقة الفنية ، وقيدُ المستوى اللغوى ، وقيد الإسقاط المتعمد ، وغيرها ، وليس من شك فى أن هذه القيود تزعج الكاتب المسرحى وتعترض تدفق موهبته واندماجه فى

موضوعه ، فإلى أى مدى استطاعت هذه المسرحيات الثلاث أن تحقق المواءمة بين عناصر بنائها ، وأن تحمل رسالة الكاتب فى صفائها وتحددها إلى المتلقى ؟ هنا يفرض النازع التعليمى نفسه ، إذ يشفق الكاتب على « رسالته » أن يكتنفها شىء من الغموض ، أو أن يكون قصَّر فى تبيان مرماها ، أو أن يكون المتلقى لا يملك من المعرفة العامة ما يعينه على وضع الأمور فى مكانها الصحيح ، أو فهم الإشارات فهمًا سليمًا ، وفى هذه الحالة التعليمية تتعثر درامية الأحداث المتصاعدة فى الشروح الموضِّحة ، كما تنجذب الشريحة المنتقاة إلى الالتصاق بالأصل الذى انتزعت منه ، ولا تكتفى بالتمثيل النسبى أو الرمز ، حتى لنجد فى « القضية » ثبتًا لأسماء اثنى عشر ملكًا (هم ملوك الطوائف فى الأندلس) ولعل الإشارة إلى بعضهم كانت للدلالة على إحدى أهم نقاط الضعف ، وسنعود إلى هذا بشىء من التفصيل . والمهم هنا أن نعرف أن الدكتور القاسمى كتب مسرحياته لتُمثَّل أمام الجمهور على خشبة المسرح ، ولم يجد فى الكتابة كفايته ، وقديمًا قال أجدادنا : من ألف فقد استهدف ، ونضيف إلى مقولتهم : ومن عرض فقد شرد !! وربما استدعت الذاكرة محاولات توفيق الحكيم المبكرة (التى **كتبها عقب عودته من فرنسا**) تلك الأعمال التى وسمها النقاد

والدارسون بأنها « مسرحيات قراءة » أو « مسرحيات ذهنية » ، وشرح الحكيم سر صنعته ومحاذيره فى مقدمة « بجماليون » ، وقال إنه يقيم مسرحه داخل الذهن ، ويجعل أفكاره شخوصًا تتحرك فى المطلق من المعانى . كان الحكيم شديد الحذر (**محتاطًا لنفسه**) حين ذكر أنه لم يكتب مسرحياته هذه لكى تُمثَّل ، إنه يكتبها للقراءة ، إلا (**وهذا استدراك مهم جدًا يكشف عن أمنية حقيقية**) أن يقيض لهذه المسرحيات « مخرج » يملك موهبةً خاصة تستطيع أن تتغلب على جفاف الفكر وهبوط عناصر التشويق والفرجة بوسائل وتقنيات يبدعها !! هذا ما فعله الحكيم ، ولو على سبيل دحض جانب من المآخذ التى سيوجهها بعض النقاد . أما كاتبنا الدكتور سلطان بن محمد القاسمى ، فإن الأمور عنده لا تحتمل المواربة ، فتصنيفه معلن على الغلاف « مسرحية » ، وتقسيمه لمراحل العمل أو أجزائه يوصف بأنه فصل ، أو مشهد ، وأسماء الشخصيات تتصدر المطبوع ، وفى أثنائه توصف حركة الأشخاص من دخول وجلوس وقيام وخروج ، كما تسجل أقوالهم سواء بسواء ، بل يرفع الستار وينزل الستار الأخير ، وبهذا الصنيع استحضر أجواء المسرح ، وسيطرت حالة المسرحة إبان فعل القراءة ، مما يؤكد « قصد » الكتابة للتمثيل والعرض ، وهنا يختلف الاعتبار ،

فالمستوى الفكرى والقضية المحور فى كل من هذه المسرحيات جادة وحادة ، يزيدها الإسقاط المستمر إثارةً لمبدأ القياس والمقارنة ، وتوليد الامتدادات الدلالية لجوانب المسكوت عنه فى هذه الأطروحات الفكرية ، فى حين أنها - بسرعة التدفق ، وإضمار العبارة ، واقتضاب المساحة - كانت تحتاج إلى قدر من التمهل ، وربما إلى إضافة تقنيات أخرى حتى يمكن استيعابها فى صيغتها المدونة ، فمثلاً أقترح (**وأرى**) أن مسرحية « عودة هولاكو » بصفة خاصة يمكن للأداء الغنائى الحركى (**الأوبرالى**) أن يرتفع بمستوى النص (**دون تغيير فى النص نفسه**) إلى آفاق سامية من المتعة والجمال والفكر معًا ، لا يستطيع الأداء التمثيلى التقليدى أن يبلغها مهما فعل .

(٢) قراءة فى العناوين

إن عنوان العمل - عادة - آخر ما يخطه قلم المبدع ، وفى الوقت نفسه هو أول ما تقع عليه عين المتلقى . سيظل هذا التصور - بالنسبة للمبدع - صحيحًا حتى مع التسليم بإمكان أن يكون العنوان أول ما استحضر ، وأنه مفجر تشظيات العمل كله ، ذلك لأنه يظل « معلقا» بين مد وجزر ، لا يستقر قراره إلا باكتمال العمل . وفيما نحن بصدده من مسرحيات نلاحظ أن كلاً منها تنفرد بخصوصية مميزة ، غير أنها تجتمع على « تجوهر »

الموضوع أو المحتوى فى هذا العنوان المختار ، بما يرشح أن حضوره كان سابقًا لعملية الكتابة ، ومصاحبًا لها ، وختامًا معلنًا للمنجز بعد ذلك !! يرشح هذا ويدعمه أن الكاتب يقرأ التاريخ وعينه على الحاضر ، فإذا وجد حدثًا أو مرحلة ماضية تقارب ما يجرى الآن انتزعها من سياقها الزمنى ، وأحاطها بسور يحدد معالمها ، ثم فتح فى هذا السور بابًا يفسح مجالاً لرؤية ممتدة من هذا التاريخ إلى الراهن الذى نعايشه ، وكأن تلك الصورة المنعكسة من داخل صندوق أفلاطون الشهير !! إن المسرحية التى عرضت للهجمة المغولية على الشرق العربى الإسلامى تحمل عنوان : « عودة هولاكو » وهولاكو المسرحية لم يعد ، وإنما قدم مع جحافله ، ومن ثم لا ينطبق هذا العنوان على الملفوظ المدوَّن فى المسرحية ، وإنما ينطبق على المسكوت عنه ، المدرَك من حالات التوازى والتشابه بين ما كان ، وما يتكوَّن الآن ، من هنا نعلم أن الكاتب سلطان القاسمى لا يسعى إلى موقع معلم التاريخ ، فالموقف السياسى عنده أهم من الموقف المعرفى ، أو هو يتجاوز بنا - نحن المتلقين من المشاهدين والقراء - مسافة المعرفة بالحديث ، إلى الخطر من إمكان « عودته » حين بدت نذر تلك العودة فيما يرصد من إسقاطات ، فهناك تكون عملية « الشحن السياسى » مترتبةً

عضويًا على المعرفة العملية التاريخية . ويتأكد هذا الهدف السياسى فى المسرحية الثالثة « الواقع » ، وهنا نكتشف – مع قراءة النص ذاته – تعدد المدلولات لهذا الدال الواحد المقتضب الغامض ، غموض العبارات العامة كثيرة التداول ؛ فالواقع تعنى الحادث ، أو الذى حدث ، والواقع : الساقط المنهار ، والواقع : الذى لا فكاك منه ، والواقع : الممكن المسيطر . إن النص المسرحى الذى عنون له « الواقع » يحتمل كافة هذه التأويلات ، ولكن المؤلف – فى هذه المسرحية دون غيرها – يضيف إلى هذا العنون عنوانًا شارحًا (**يختلف فى حجمه وفى رسمه**) يقول : « صورة طبق الأصل » ، وهذه العبارة المركبة مطلقة من قيد يوجه ما تعنيه : هل هى صورة طبق الأصل الذى هو « التاريخ » فيكون التاريخ أصلاً ، والمسرحية صورة مطابقة لهذا الأصل ؟ أم أراد أن يلفت انتباه المتلقى إلى درجات التشابه بين ذاك التاريخ المنقضى ومايجرى حاليًا من مؤامرة دولية لانتزاع القدس بكاملها من أيدى المسلمين ، وتسليمها إلى اليهود ؟ إن التوجيه الاحتمالى الأول غير مراد للمؤلف ، لأنه يعرف أن الفنون الأدبية ، مهما استلهمت الواقع وحاولت الاقتراب منه ، فإنها أبدًا لن تكون « صورة طبق الأصل » ؛ لأن إدراك هذا الأصل يعنى – تلقائيًا – التغيير فيه ، ولأن الكاتب

نفسه لم يتقيد بالأصل (**حرفيًا**) إلا فيما لا يجوز تخطِّيه ، كتواريخ الأحداث ، وأسماء الشخصيات المثبتة تاريخيًا ، ثم أضاف من إبداعه ما يعيد تشكيل هذه الثوابت بحيث تتحول إلى الشكل المسرحى ، فيكون لدينا حدث له بداية وتطور إلى نهاية ، ولدينا شخصيات (**مصنوعة أو موضوعة**) تعطى الجو المسرحى نكهته الاجتماعية الطبيعية ، وتكون لدنيا إشارات تثبت الشعور بالعصر وخصائصه ، تلك الخصائص التى لا تتكرر ، حتى وإن تكررت أفعال الناس وأحداث الزمان .

حملت المسرحية الثانية (**الوسطى**) عنوان : « القضية » بأل التعريف والحصر ، وكأنما يقول العنوان - فى طوايا المسكوت عنه ، الذى يمكن استقراؤه بتحليل الصيغة - إنها القضية التى لا يسأل أحد عن ماهيتها ، فهى القضية التى استوعبت وفاقت كل القضايا ، إنها قضية كل العصور ، القضية التى لا تستحق قضية أخرى أن تحمل وصفها الذى تحمله . إن هذه الدلالات المتضمنة فى العنوان موضع اتفاق تام بين العرب والمسلمين ، منذ خروجهم من الأندلس (**وهو موضوع المسرحية**) وإلى اليوم . وإذا كانت قضية فلسطين أو القدس وهى التى تسطع فى أفق الفكر السياسى والقومى الحاضر فإن النظير التاريخى يتحول إلى حاضر مواز بمجرد استدعاء الأول ؛ فبين الأندلس

وفلسطين ، كما بين غرناطة والقدس ، ارتباط من نوع خاص ، حيث يستدعى أحدهما الآخر ، ومن ثم يكون استلاب الوطن قطعة بعد قطعة هو « القضية » الحقيقية .

ومن المفترض أن عنوان العمل الإبداعى ينطوى على كافة إمكانات هذا العمل فى جملته ، ولهذا يوصف العنوان بأنه « النص الموازى » ، ومن ثم ستكون «عودة هولاكو » قضية واقع نعيشه ، وكابوسًا يتحقق أمام أعيننا . ويبقى من قراءة هذه العناوين التى تفتح الطريق إلى « مضامين » متواشجة ، أنها جميعًا - من الناحية الزمنية - تدور فى العصور الوسطى ، عصور التردى والتخلف . وهذا يعنى أمرين ، أحدهما أو كليهما ، أننا لا نزال نعيش فى تلك العصور الوسطى التى غادرها العالم المتقدم بأن أفاد من منجزات حضارتنا التى غربت ، وتركنا نتخبط فى فلولها العبثية ، وهذه رؤية واقعية متشائمة . والمعنى الآخر أقل تشاؤمًا وإن كان يقضى إلى الغاية ذاتها ، فإنك حين تستعرض أحداث تلك المسرحيات الثلاث ، وأخلاق طبقات الحكام فيها ، واستبداد الجهل والكبت وكل ما هو قاتل لطاقة الإبداع والتقدم فى الإنسان ، تكاد تسلِّم معى بأن للكاتب الدكتور سلطان بن محمد القاسمى فلسفته الخاصة العميقة ، حيث رصد عللنا وأوجاعنا والأخطار المهددة

لوجودنا . . فلجأ إلى التاريخ ليس ليدلنا عليها وحسب ، وإنما ليكشف عن جذورها الضاربة ، وعمق تأصلها فنيًا ، ومدى حاجتنا إلى جهاد النفس وجهاد الآخر حتى نبرأ من سلبياتنا التى تأخذ بهذا المنحى (**العكسى**) بُعدًا تاريخيًا . خلاصة هذه الرؤية أنه - الكاتب - لم يرد أن نرى ونفطن إلى ما بين تاريخنا وواقعنا من تشابه وحسب ، وإنما أن نرى عيوبنا (**من جذورها**) فى مرآة التاريخ ، الذى لا يكذب ولا يتجمل !! كما نلاحظ أيضا أن « المكان » فى هذه المسرحيات الثلاث يبدأ خارج حدود الأرض العربية ولكن التحرك والقصد ينتهيان إليها وفيها ، ولهذا دلالته على طبيعة المكان الجاذبة للأغيار ، تلك الطبيعة التى عبَّر عنها الفيلسوف الجزائرى مالك بن نبى ، بوصف « القابلية للاستعمار » ، وإن التكرار النمطى السائد فى هذه المسرحيات من انشقاق وشقاق فى القيادة ، واختراق للسلطة صاحبة القرار ، واستهانة من القادة بقوة شعوبهم ومن ثم مجافاتها وإهمال مصالحها . . إلخ ، تؤكد جميعها معنى قابلية الاستعمار ، تلك الوضيعة المهينة التى جرى قبولها ، ولا يزال ، بلا مبالاة لا يحسدنا عليها أحد ، ولا يرثى لنا . . ففى المسرحيات الثلاث يملك « الآخر » قدرة الفعل ، ونكتفى نحن بقدرة التخاذل ، ولعل الكاتب خالف هذه الرؤية القاتمة فى مسرحيته الأخيرة

« الواقع » ليس بقصد مواساة الكفاح الشعبى وثورة الحجارة ، واستنبات أمل لعله يصدق فى الزمن الآتى وإنما كثمرة لقراءة جديدة ، توجه الاهتمام إلى المستوى التحتى فى تركيبة المجتمع ، وقد حقق هذا بنية المسرحية بأكثر من طريقة فنية ، كما سنرى فى تحليل البناء الفنى لهذه المسرحيات .

(٣) الكلاسى والمستحدث

يتحول تاريخ النوع الفنى إلى قيد على محاولات الإبدال الجزئى ، أما التحديث المطلق فإنه مثل الطفرة ، يعانى العزلة ويتهدده الانتكاس ، إذ يفتقد التأسيس المرحلى الذى يمنطق كل مرحلة حسب معطيات طبائعها سواء فى البنية الحضارية وعلاقة الجماعات أو الطبقات ، كما فى خصوصية الاستخدام اللغوى ، وما ينتج عن هذا وذاك من اختلاف فى الذوق العام وقيم الجماعة . ودون أن نفيض أو نطيل فى هذا الجانب النظرى نقول إننا لا نحتاج من إثارته إلى أكثر من القدر الذى يجعلنا نستوعب ونقدر خصوصية هذا النوع الأدبى (**فى داخل النوع الأدبى فى الحقيقة**) وهو « المسرحية التاريخية » إذ يكفى أن نتأمل مسيرة هذا النوع لنكتشف أن « ثبات التقاليد » - التى يمكن أن نعدها ضربًا من كلاسيكية الفن - تهيمن على أزمنته ، فدائمًا هناك البطل التاريخى ، ومن يرتبط به بعلاقة ما ، والحدث

(التاريخى أيضًا) الذى يتجمعون حوله متناصرين ، أو متخاذلين ، أو متعارضين ، ودائما هناك انعكاس للزمن على هذا الحدث والقائمين به ، كما أنه من الضرورى إضافة شخصيات وأحداث متخيلة يبتدعها المؤلف لتضفى شعورًا بالحياة الواقعية ، وترم الفجوة بين الماضى والمجرد أو « المعلَّب » ، والحياة الدافئة بأنفاس البشر وحاجاتهم . إن فرص « التمرد » على هذا الهيكل المفرغ تأخرت كثيرًا ، ولبواعث أيديولوجية ، كما فى « قيصر وكليوباترا » لبرنارد شو ، و « رومولوس العظيم » لدورينمات ، أما الاتجاه السائد – فى الأدب العربى خاصة – فهو النمط الإحيائى ، الذى يهدف إلى تمجيد البطل أو المرحلة ، ولهذا عاب نقاد أحمد شوقى – فى مسرحه الشعرى – اختياره لموضوعات بعض مسرحيات معبرة عن أزمنة السقوط والانحلال ، مثل مسرحية « قمبيز » ومسرحية « مصرع كليوباترا » فقد انتهت الأولى بسقوط مصر فى يد الفرس وانتهت الأخرى بسقوطها فى يد الرومان ، وقد دافع شوقى عن نفسه بأن الشخصية المسرحية لابد أن تكون ذات أهواء وجموح وتقلب ، وأنه ليس مثل أزمنة الضعف كاشفًا لانحراف النفس وضياع القيم وصراع المصالح الخاصة . وهذا حق ، وهو فى حالتنا هذه ينطبق تمامًا ، فالمسرحيات الثلاث تنتهى بالسقوط ،

حتى وإن حاول ختام المسرحية الأخيرة « الواقع » أن يبعث شيئًا من الأمل فى المستقبل ، حاول تبريره فى تقديم المسرحية .

والذى نريد أن ننتهى إليه أن هذه المسرحيات كلاسية الطابع ؛ إذ حرصت على دقة المعلومة ، بل وثقتها من الوجهة التاريخية ، يدخل فى هذا أسماء الأعلام ، والأماكن ، والمعارك ، وتاريخ وقوعها (**بالتقويمين الهجرى والميلادى**) وكذلك الحرص على تسجيل بنود المعاهدات التى يسميها النص « اتفاقية سلام » فى مسرحية « القضية » - ص ١١٦ ، و « الاتفاقية » فى مسرحية « الواقع » - ص ٢١١ ، واتفاقية سلام - ص ٢١٢ ، وقد آثر الكاتب هذه التسمية ليسقطها على حاضر ما يجرى ، حتى فى إشارته إلى البنود السرية والملاحق ، فى حين كان العرب يعقدون معاهدات وليس اتفاقيات . ويدخل فى هذه الكلاسية الحرص على اللغة الفصيحة المعربة ، والارتقاء بلحظات الذروة إلى مستوى الشعر . وقد كانت المسرحية الكلاسيكية تنظم شعرًا فى الأساس ، ولكن حركة الاقتراب من الواقع وخوض تجارب الحياة الاجتماعية ما لبثت أن حملتها على التخلى عن الإغراق فى اللغة المجازية الكثيفة ، التى هى دعامة الشعر قبل الإيقاع ، ومع هذا لم يتخل الشعر عن نصيبه فى المسرحية (**الكلاسية خاصةً**) وإن تخلى عن الألفاظ وتمسك بجوهر الموقف

الدرامى ، حيث تحتدم المشاعر وتسمو العواطف فلا تحيط لغة النثر بالمشهد ، ولا يتحقق صدق اللحظة إلا بالصعود إلى الشعر . وقد حرص الدكتور المؤلف على أن يبلغ بأحداث متفرقة إلى هذه الذروة ؛ نجد هذا خاصة فى المسرحيتين الأخيرتين . وقد كان موفقًا غاية التوفيق فى مسرحية « القضية » حين تأتى هذه اللحظة الخاصة الحاشدة على لسان والدة الملك العربى الأخير لغرناطة ، عند استعداده للرحيل ، وهذا الموقف بطبيعته مفعم بالشجن ، تعجز العبارات النثرية الثرثارة عن سبر أغواره ، والإيحاء بالمعاناة الداخلية . تقول هذه الوالدة (**الملكية**) المفجوعة فى « رجولة » ولدها : « كان عليك أن تدرك بأن الأخطار التى تهدد ملكًا من عدوٍ لا يرحم ، وهو قابع بين أسوار قصره المنيع ، لهى أكبر وأخطر مما يتعرض له هذا الملك من أخطار لو كان فى خيمته الحربية فى ميدان القتال .

لا حول ولا قوة إلا بالله . . .

انظرنى . .

أنا عائشة الحرة . .

أنا ملكة ، زوجة ملك ، وأم ملك . .

أنا امرأة حرة . . عزيزة قومى ، وقومى أعز أمتى . .

وأمتى أعز وخير أمة أخرجت للناس . .

انظرنى . .

ماذا ترانى الآن . . ؟

غير امرأة محطمة . .

مستعدة لرحيل المنافى » المسرحية ص ١٣٣ - ١٣٤ .

فهذا كلام جليل ، يصدر عن كبرياء مفجوعة ، تواجه الهزيمة مرفوعة الهامة ، ولا تريد أن يراها أحد لحظة ضعفها . إن الجانب الإيقاعى فى الاقتباس السابق ليس مستبعدًا تمامًا . وهو ماثل فى امتداد الجملة ، وانتقاء الأصوات ، وتكرار بعض العبارات ، والبدء ثلاثة مرات بضمير الأنا ، على أن بنية هذا المقطع تقوم على « المفارقة » ، وهى الجوهر الذى تلتقى عنده الدراما والشعر ، ففى البداية مفارقة ما بين أمان خيمة المحارب ، وخوف قصر المستسلم ، وفى الختام مفارقة بين الملكة من سلالة ملكية ، والمرأة المكرهة على استقبال المنفى ! !

وكذلك فى المشهد الأخير من مسرحية « الواقع » يتناجى رجلان مسنان ، لم يعطهما الكاتب / الشاعر اسمين ، بل ميزهما برقمين ، تأكيدًا للضياع الشامل الذى غلف كل شىء وكل شخص ، وإيماءً إلى أن ما يتناجيان به إنما يعبّران فيه عن شعبهما كله :

الرجل المسن (١) : ما هذا الواقع المرير يا قدس ؟ !

خمسة عشر عامًا من الاحتلال والذل
والهوان . . يا قدس . من لى بتحرير
القدس ؟ ! هذه الدول المتناحرة .

الرجل المسن (٢) : من لى بتحرير القدس ؟ !
هذه القلوب المتنافرة . .
من لى بتحرير القدس ؟ !
من لى بتحرير القدس ؟ !

ها هنا « مونولوج » يأخذ صيغة « الديالوج » يردده شيخان مسنان ، يقول الشيء فى صوتين : الجواب والقرار ، يراوح بين التكرار والمخالفة ، وفى كل الحالات يطرح السؤال نفسه دون أن يتلقى جوابًا !!

هناك ومضات كلاسيكية راقية ، والوصف بالرقى هنا يعنى أنها تستند إلى الذوق المرهف الذى حرصت هذه النزعة الفنية على رعايته ، إذ نلاحظ - وهذا مجرد مثال - أن الشخصية النسوية لاتتجلى على المسرح إلا لكى تؤدى عملاً له طابع البطولة والفداء ، كما رأينا فى مخاطبة عائشة الحرة لولدها الملك الذى وقَّع صك الاستسلام ، وفى المسرحية ذاتها نلقى « سيدة البشرات » التى تقود عملاً من أعمال المقاومة السرية ، وتقوم بالتنسيق بين أفراد المجموعة ، حتى إذا تمكن العدو من

الإيقاع بها ، وراح يتوعدها بأقسى العذاب إن لم تبح بأسماء شركائها بادرت بقطع لسانها وقذفه فى وجه معذِّبها ليقنط تمامًا من إمكان إفصاحها عما تريد إخفاءه ؛ يحدث عكس هذا فى مشاهد اللهو ومواقف العبث ، التى لا يتوسع فيها النص ، وإنما تمضى خطفًا ؛ حفاظًا على جلال القضية ، وصرامة الفكر ، ففى «عودة هولاكو » تسمع أصوات نساء اللهو الضاحكات بطريقة عابرة دون أن يسمح لهن النص بالظهور ، ومما يؤكد أن هذا المسلك يتأسس على قيمة فنية ، وليس ينبع من تحرج أخلاقى فقط ، أنه موضع التزام حتى حين تكون النساء من المغول ، ولسن عربيات أومسلمات :

- **هولاكو** : هاتوا الشراب والراقصات .. هيا .. هيا

(يؤتى بالشراب ، ويسمع صوت موسيقى مغولية ، والكل ينظر إلى جهة من المسرح وكأن هناك راقصات) ص ٦٢ .

لقدكان المشهد استدراجًا مقبولاً لتبرير إدخال الرقص فى المسرحية ، إن لم يكن لإشباع رغبة فى بعض المشاهدين فللتشهير بإباحية المغول ، وهو قوم وثنيون لا يعفّون عن شىء ، ولكن النص حرص على وحدة النسيج الفنى ، فلم « يتنازل » عن الوسيلة ، بذريعة الغاية !! وحتى حين يأمر هولاكو بإحضار فتاة مغولية لتقضى ليلة مع القائد المسلم المهزوم ، فإنه يدعوها بزوجته (**زوجة القائد**) وكذلك لا نراها على المسرح .

هل يعنى هذا أننا مع هذه المسرحيات نعيش فى رحاب المسرح الكلاسى ؟

إذا أخذنا بمبدأ التغليب فنحن فى رحاب الكلاسية – لهذه الأسباب :

(١) الاتجاه إلى التاريخ واستمداد الموضوعات منه ، مع الاهتمام بتصدر العظماء .

(٢) سيطرة الروح الملحمية البطولية على جو المسرحية ، حتى فى زمن الهزائم .

(٣) الاستعانة بالمجاميع التى تنتمى إلى الجوقة أو« الكورس» .

(٤) الحرص على اللغة العربية الفصيحة فى الحوار ، مهما اختلفت مستويات المتحاورِيَن .

(٥) تطوير الأحداث فى حدود ما يقبله المنطق ، حسب توالى منظومة من الأسباب والنتائج .

(٦) الالتزام بالقيم والمبادئ التى تؤمن بها الجماعة .

(٧) مراعاة الذوق العام ، وتجنب كل ما يخدش الحياء ، أو يثير الشعور بالاشمئزاز .

مع استقرار هذه الملامح فى المسرحيات الثلاث ، يبقى فيها نزوع إلى التحديث (**الفنى**) إذ هى – بكل ما تعنى من

حفاوة بعنصر العراقة والأصالة فى تقنيات الحكى والعرض واللغة والأخلاق - تبقى موجهة إلى مخاطبة المشاهد / القارئ العصرى الذى تمرَّس بمشاهدة وقراءة تجارب شتى فى مجال التقنية ، أو تشكيل مادة مسرحية بصفة خاصة ، ولهذا من واجبنا رعاية هذا الجانب أيضًا . وقد تقبلت المسرحية التاريخية أنواعًا أو مستويات من التجديد (**ربما يعد شيكسبير المسئول عن أهمها**) فيكون سؤال الملاءمة مطروحًا . وسنجد هذا يتحقق بدرجة أو بأخرى فى كل مسرحية على حدة . ففى عودة هولاكو يسيطر الجو الكابوسى الخانق وكأننا فى أجواء ماكبث ، حيث يضغط عل أنفاسنا جو الجريمة إعدادًا وتنفيذًا ، ومع هذا سنجد مسحة تتجلى فى مواقف تنتمى إلى « الكوميديا » ، ولكنها الكوميديا السوداء التى تجرى مع السياق الحدثى والنفسى للمسرحية ، مثل هذا المشهد الذى يصف فيه هولاكو الطريقة التى استجدى بها سلطان مهزوم حياته من القائد المغولى الدموى :

« هولاكو : قدم على قبل أيام عند حدود تبريز بعد أن عرف باستيلائنا على بغداد ، وقد قدم اعتذاره بطريقة عجيبة . ورسم وجهه على النعال وقدمه لى » .

(**هولاكو يخلع النعال ويوجه قاع النعال ناحية الجمهور لإظهار الصورة وهو يقول**) : قال السلطان عز الدين : إن هذه

صورتى تحت نعلك آمل أن تكون شفيعًا لى وتجعلنى مفتخرًا بلطفك . . .» ص ٨٧، ٨٨ .

إن هذا المشهد المذل موجه إلى القارئ / المشاهد المسلم ، ولو أن السلطان المهزوم كان من قوم آخرين لأدى صنيعه المذعور إلى ضحك الجمهور وسخريته (**وهذا بدوره قد يعجب هذا الجمهور حتى وإن خدش الصفاء الكلاسى واعتداله**) . غير أن ذاك السلطان مسلم ، وهذا يسبغ على المشهد الذليل مذاقًا آخر شديد المرارة ، ولهذا لا نتوقع أن يتلقاه الجمهور بالضحك ، أو السخرية ، وإنما الشعور بالأسى والقهر ، حتى وإن كان المشهد فى صورته المحايدة يثير السخرية والازدراء . وفى ختام المسرحية ذاتها - عودة هولاكو - نرى هذا المشهد أعقاب موت الوزير الخائن ابن العلقمى :

الأمير (**المغولى**) يرجع ومعه شاب ويجلسه مكان ابن العلقمى ، وهو يقول :

الأمير المغولى : أنت الآن الوزير . .

الوزير : سمعًا وطاعة يا مولاى .

(**يخرج الأمير المغولى وجنوده - ليدخل وهو يقول**)

الرجل : أنا من أهالى بغداد . لقد ظلمنى الوزير السابق

انتقم لى ربى منه . حسبى الله ونعم الوكيل .

(يدنو من الوزير وهو يسأله)

الرجل : ما اسم الوزير الجديد ؟

الوزير : ابن العلقمى .

الرجل : ابن العلقمى مات

الوزير : أنا ابنه . . أنا ابن . . ابن العلقمى !! - ص ٩١- ٩٢

إن اسم الوزير ، وهو اسم حقيقى ، مكوّن أساسى فى تأكيد سوداوية الإضحاك ، إذ يتربع على كرسى الوزارة « العلقم » حتى إذا مات جاء خليفته « علقما » يتجدد ، من ثم يكون الضحك من المفارقة ، حيث يموت وزير دون أن يدرى الشعب ، وهنا تكون « الغلطة » أو الغفلة ، التى تجعل الشاكى يتعجل فى إظهار سخطه على السابق ، ليكتشف أنه لم يتغير شيء ، وأن الخيانة مثل العلقم ، لا تنتهى مراراتها .

وفى هذه المسرحية - عودة هولاكو - محاولة تمرد على اللغة المعجمية والاقتراب من اللغة المتداولة المأنوسة ، وهو ما رفضه الكلاسيون دائما وتمسكوا برصانة العبارة . لقد « أفلت » زمام العبارات الحوارية من سيطرة المعجم ، وقد ارتضاها المؤلف وأثبتها كما أحسَّها ، وقد كانت هذه العبارات الشاردة مفعمة بالحياة ، وقادرة على « مسرحة المشهد » أكثر من أية عبارة لغوية مصنوعة بترتيب النحو والصرف .

حين يكتشف **الدويدار** – قائد جيش الخلافة – أن ابن العلقمى تمكن من استدراج الخليفة إلى التسليم للعدو ، يهتف **الدويدار** :

الدويدار : الله . . الله . . كملتها يا ابن العلقمى !! ص ٧٤

فهذه العبارات تنتمى إلى نسق « اللغة الثالثة »تركيبها فصيح معرَّب ، ونطقها عامى يجارى العرف . وكذلك يمتد الحوار بين الخليفة **المستعصم** والقائد :

المستعصم : (**مطمئنًا الدويدار**) طيب . . طيب . . كما سنبعث الدرتنكى بقليل من الهدايا .

الدويدار : إيش الذى عمله الطرطنكى مالك هذا . . رايح جاى على هولاكو – ص ٧٥ .

هنا التعبير باللهجة أقوى تأثيرًا ، لأن فورة الانفعال تنسى المتكلم قواعد التأدب أمام الخليفة ، كما تنسيه انتقاء كلماته ، من هنا برزت العامية فى تلك اللحظة دون غيرها ، كما تلفتنا هذه الملحمة شديدة الحساسية والذكاء ، حيث ينطق اسم الشخص نفسه بطريقتين ، فالدرتنكى على لسان الخليفة ، هو الطرطنكى فى نطق القائد ، الذى تملكه الهياج وقهرته عمالة الوزير وضعف الخليفة .

فى هذا المحور التحديثى للمسرحية التاريخية الكلاسيكية يمكن أن نجد – عبر تحليل اللغة – ما نطلق عليه « اللغة الإعلامية » ،

وهذه اللغة تدرس فى كليات الإعلام على المستوى الجامعى والدراسات العليا . وفى مسرحيات الدكتور سلطان بن محمد القاسمى تتجلى اللغة الإعلامية فى المسرحية الثالثة « الواقع » بصفة خاصة . . ومن الواجب أن نوضح أمرين : أن هذه اللغة الخاصة (**أو هذا المستوى فى الصياغة وانتقاء المفردات**) تبدو متواشجة مع عناصر البيئة المسرحية ، بحيث تبدو كتقنية ، وليست مجرد أداة توصيل . أما الأمر الآخر فهو أن هذه اللغة الإعلامية تناسب تمامًا الهدف المرصود للكتابة ، الذى توخاه الكاتب بل إنه الدافع والمحرك إلى الكتابة أصلاً ، وهذا ما يدعم الصيغة السياسية (**وليس التاريخية وحسب**) لهذه الأعمال . لقد سبق لهذه اللغة الإعلامية أن تنفست بأكثر من طريقة فى كل مسرحية ، نجدها ماثلة فى اختصار الزمن وإيثار المَشاهِد / النقلات السريعة ، وكأن المسرحية تأخذ بأسلوب العمل المعد للتليفزيون ، وفى مسرحية « القضية » نجد إعادة تشكيل ، وإحياء المقولات المتداولة ، بحيث تستعاد وتأخذ وضيعةً جديدةً فى السياق المسرحى . فإذا كانت العبارة المأثورة عن جلادى إسرائيل الآن : « فلسطينى ميت خير من فلسطينى حى » - تعبيرًا عن رغبةٍ دفينةٍ معلنةٍ أن تفرغ البلاد من أهلها لتصفو لهم ، فإن الإسبان - كما رأى الكاتب - رددوا العبارة نفسها -

مع تعديل بسيط - لتحقيق ذات الهدف ، فقالوا « مسلم ميت خير من مسلم حى » ص ١٤٢ ، ويدخل فى هذه اللغة الإعلامية سلك الشعارات فى عبارات موجزة سهلة الترديد والتذكر ، مثل شعار المغول : « القوة هى الحق » (**عودة هولاكو ص ٦٥**) ، وقول القائد الإسبانى بعد تسلُّم مفاتيح قلاع غرناطة وقصورها : « من لا مفاتيح له لا مكان له » (**القضية ص ١٢٨**) ، ومثل تكرار تدخل « الهاتف » لاختزال إشارات الزمان واختلاف المكان فى مسرحية « الواقع » - انظر مثلاً ص ١٧٥ - فالهدف الإعلامى يرفض الهدف التعليمى فى هذه التقنية . إن عبارات متعددة فى مواقع مؤثِّرة ، تثبت بصيغة ما نعرف من « مانشيتات » الصحف : (**الصليبيون يحتلون القدس ، اجتاحوا سيناء ، احتلوا مدينة الفرمة ، بلغوا ضفاف النيل وسبحوا فيه**) هذه جميعها عبارات ذات صياغة إعلامية توجِّه المشاهدة فى تركيز حى إلى بؤرة الحدث ، ومغزاه الجوهرى . .

(٤) الإسقاط

وهو هدف أساسى من أهداف الكتابة ، مما يعنى أن المؤلف - فى نزوعه إلى التعليم - يوجه هذه العملية إلى الوعى بالحاضر أساسًا ، وما التاريخ - فى التكوين الفنى - غير برهان ينير الفكر ويطلق النبوءة والمحاذير ، وهذه صبغة أخرى

للمسرح السياسى الذى يتجاوز التاريخى . و« الإسقاط » فنيًا ليس بالأمر السهل بل إن الاستهانة به ، وإعلانه فى تحديد ومباشرة يؤدى إلى فشل العمل المسرحى ، وتحويله إلى نشرة دعاية يستهجنها المتلقى ويرفضها أو لا يرى فيها أكثر من أنها رأى معلن يتعامل معه بالرأى ، وليس بالمشاعر والانفعالات . من المهم فى الإسقاطات أن تأخذ أماكنها متفرقة على مساحة العمل الفنى ، فلا تتجمع فى مشهد واحد أو فصل بعينه ، هذا دون أن تلح فكرة الإسقاط على الكاتب حتى مع شعوره بأهميته – أهمية الإسقاط – إذ ينبغى أن تتوزع توزيعًا متناسقًا ، وأن تأخذ الإسقاطات مواقعها السياقية المقنعة للمتلقى قارئًا أو مشاهدًا ، دون مباشرة زاعقة . وهذه الشروط الثلاثة – فيما نرى – مهمة بحيث تجعل هذا الجانب المهم على مستوى التجريد للقضية (**أو المقدمة المنطقية بتعبير « لاجوس آجرى »**) التى تنطلق منها المسرحية أو تعمل لكى تبرهن عليها ، يبدو كتقنية جمالية مطلوبة ، موضع اشتياق من المتلقى وليس موضع لا مبالاة .

سنجد هذه الشروط الثلاثة للإسقاط الجيد متحققة – بدرجة أو بأخرى – فى هذه المسرحيات ، التى أعلن مبدعها – الدكتور سلطان القاسمى – أنه لم يكتبها فى إطار الماضى البعيد إلا ليثير

الاهتمام بالحاضر الراهن والقريب ، مع هذا سنجد أن هذه الإسقاطات :

(١) تختار سياقها المقنع المطلوب فى داخل الحدث التاريخى ، ومن ثم لا تستمد وجودها المطلق من أنها تداعب أو تثير التنظير بالحاضر .

(٢) أنها لا تأخذ شكلاً واحدًا، وإنما تتكون وتتخفى ، فى كلمة ، فى حركة ، فى تقنية مسرحية ، فى رمز ، أوفى توزيع للأدوار ، أو فى سلب كما فى إيجاب (**بالقياس إلى الواقع**) ، وبهذا يتم تقبلها وتحتفظ الذاكرة بها ، لأنها تفرض فرضًا ، ولا تلتصق التصاقًا ، إنها أحد خيوط النسيج الكلى للمسرحية .

(٣) وهذه الإسقاطات لم تأخذ الشكل التراكمى فى مشهد أو فصل ، ولم تتأثر - وحدها - بالمعنى المجرد لمضمون المسرحية ، وإنما حققت مبدأ الإيقاع والتناغم ، حيث انتشرت بنسب شبه ثابتة ، بين فصول كل مسرحية .

ومن المهم أن ننبه - قبل أن نعاين التطبيق - إلى أن « الإسقاط » فى صميمه يتوقف على درجة وعى المتلقى ، قارئًا كان أو مشاهدًا ، ولنفرض افتراضًا موجودًا فى هذه المسرحيات

- التى نعنى بها هنا - أن الكاتب يبرز أثر حاشية السوء من الوزراء والمتنفذين على ترشيد القرار بالنسبة للملك أو الخليفة ، أو توريط هذا القرار وتخبطه ، وقد تمكنوا من هذا بالفعل . ليس مقبولاً من الكاتب أن يقول على أى لسان أو بأية طريقة ممكنة : « أيها المشاهد تنبَّه ، فمسألة انحراف الأعوان وتزييف النصيحة لا يزال من بلايانا الحاضرة » . فمثل هذا التوجيه المباشر مفسد تمامًا لصنعة المسرحية ، أما القدر الممكن فإن الكاتب يصوِّر الموقف فى إطاره التاريخى ، حتى يجلوه فى أعين المتلقين ثم تأتى ومضة أو إشارة ، وليس أكثر ، تشعل فى الضمير شرارة القياس بالحاضر ، لتقول (فى الضمير وليس باللسان) : ما أشبه الليلة بالبارحة !!

فى مسرحية « عودة هولاكو » تبرق هذه الإسقاطات :

(١) الخليفة ضعيف فى مواجهة العدو ، لأنه معزول عن شعبه - ص ٧٠ - ٧١ .

(٢) عبارات الخليفة المنتفخة لا تخدع العدو الذى يعرف عنا كل شيء - ص ٧٢ .

(٣) السلطة العليا مخترقة بالعملاء - ص ٧٣ ، ٧٦ .

(٤) العدو المغولى يُكره الخلافة الإسلامية على مساعدته

فى تحطيم قوة إسلامية أخرى – ص ٥٤ .

(٥) الانقسام والتخبط فى قرارات قمة السلطة نتيجة نقص المعلومات ، والعمالة للعدو ، والانعزال عن حياة الناس – ص ٥٤ .

(٦) المكاتبات السرية مع العدو – ص ٥٦ .

(٧) لقصور الخلافة ملاهيها ، وللشعب أحزانه – ص ٥٧ .

(٨) ابن العلقمى لم يمت وعلينا إخراجه من بين صفوفنا – ص ٩٢ .

ومن المهم أن نلاحظ خارطة توزيع هذه الإشارات الإسقاطية ، وسنجدها تبرق فى جميع مواقع التأثيرات ، مما يؤدى – فى النهاية – إلى صدق عنوان المسرحية ، الذى يعنى أنه إذا بقى الحال على ما هو عليه فإن هولاكو عائدٌ لا محالة !!

فى مسرحية « القضية » تتخللها هذه الإسقاطات :

(١) صاحب القضية الرث الثياب متخلِّف الوعى ، لا يعرف الفرق بين ابن تشفين وصلاح الدين – ص ١٠٥ ، ١١١ .

(٢) دائما – مع ضعف النفوس – كلما انتهى عميل ظهر عميل آخر (**قميحة ، ثم زافرة**) – ص ١١٥ .

(٣) الملك عاجز الرأى يسأل ماذا يفعل بدلاً من أن يقود ؟ ص ١٢٠ .

(٤) بنود الاتفاقية والملاحق السرية - ص ١٢٢ ، ١٢٤ .
(٥) صاحب روما المنحاز هو راعى عملية السلام - ص ١٢٧ .
(٦) مسلم ميت خير من مسلم حى - ص ١٤٢ .
(٧) عائدون . . إننا لعائدون - ص ١٤٦ .

فى مسرحية الواقع تلمع هذه الإسقاطات :

(١) حين تتراخى قبضة القائد تكثر كلاب الصيد تنهش الشعب ، تستأسد عليه - ص ١٨٥ ، ١٨٦ .
(٢) ثلاث حروب (**مهزومة**) للجمالى ، تحولها الهتافات إلى انتصار - ص ١٨٧ .
(٣) النجدات العربية تصل موقع الصدام ولكن بعد فوات الفرصة - ص ١٩٥ - ١٩٦ .
(٤) اجتياح سيناء - ص ١٩٧ .
(٥) احتلال القدس ٨٨ عامًا - ص ٢٠١ .
(٦) ثورة الحجارة - ص ٢١٣ .

إذا تجاوزنا الجانب الكمى فى عدد الإسقاطات وطريقة توزيعها على مشاهد المسرحية ، وقد حافظت على معدلها ، مما يشير إلى استقرار الحس الدرامى عند الكاتب ، إذا تجاوزنا هذا سنجد أن طرائق الإيحاء - عبر تقنية الإسقاط ، فى المسرحية الثالثة « الواقع » - أكثر تنوعًا ، وأدخل فى بنية

المسرحية ، وهذا تطوير ملحوظ فى صياغة المسرحية . وقد سبقت الإشارة إلى التوسع فى اللغة الإعلامية فى هذه المسرحية ، وهذا توظيف للهدف وتوجيهه نحو الراهن ، بما يقيم جدلاً حيًا فاعلاً بين زمن المسرحية وزمن الكتابة ، أو العصر الذى يمثله الأيوبيون ، والعصر الذى يعيش فيه الدكتور القاسمى . فى سياق المشهد الأول من الفصل الثانى (ص ١١٧) بعد أن يعلن سليمان (اللاجئ الفلسطينى) كيف يتم الاستيلاء على القدس وذبح أهلها ، يأتى هذا التوجيه : « هنا تفتح ستارةٌ خلفية لتظهر مدينة القدس ، والجنود يقتلون كل من لاقوه ، حتى إذا خلت الشوارع يتجمع الجنود ، وأحدهم يقول :

أحد الجنود : لنحتفل بالنصر

جندى آخر : انتظروا ، سآتيكم بمن يجب أن نحتفل به .

(يذهب الجندى ويأتى ببطرس راكبًا حماره ، حاملاً بيده زجاجة نبيذ. يشرب منها ويقول)

بطرس : افرحوا واشربوا هذا النبيذ ، مثلما شربتم من دمائهم هنا .

(تتحرك جثة كانت ملقاة على طرف المسرح ، فيقوم أحد الجنود ويدحرجها بقدمه ، ويشاركه الآخر ، والجنود يقهقهون . ثم ما يلبث أن يجلس صاحب الجثة قبالة بطرس ،

وإذا به الشيخ محمد متعهد المغاربة فى القدس ، ويقول) :

الشيخ محمد : بطرس . . أنا شيخ محمد الذى دافع عنك عندما كنت فى القدس ، أنا الذى سال دمه ليحميك . .

ويمضى المشهد (العبثى) حتى يمج بطرس ما فى فمه من نبيذ على وجه الشيخ محمد ، قبل أن يغرقه الجنود من أفوههم ، ثم يتنافسون على قتله ، ولكن بطرس (الرخيم) يأبى عليهم هذا ، ويتولى قتله بنفسه » !!

من الواضح أن هذا المشهد من ابتداع المؤلف ، إن لم يكن فى مفرداته ففى تركيبه ، مما يعنى أنه لا يستند إلى وثيقة من وثائق الحروب الصليبية ، إن مستنده (الحقيقى) ما يرويه الفلسطينيون من أفاعيل اليهود بهم ، وفى غير مرة عمل الفلسطينى على توفير الحماية لليهودى (الغريب) ثم دخل عليه هذا ليدمر حياته وحياة أسرته . إن قوة الإيحاء هنا تبدأ بالأسماء («محمد» : فى مواجهة «بطرس») وتمتد إلى رمز الهوان : النبيذ والخمر المحرمة عند الشيخ محمد ، ثم أن يأتى القتل ممن حفظت له الحياة . وفى هذا المشهد تتداخل تقنيات مسرحية راقية ، وإذا استعدنا بدايته سنجد هذه الستارة التى تمنح المخرج فرصة الاستعانة بالسينما والفيديو والفانوس السحرى . تدخل تقنية مؤثرة فى جانب التشويق ، دون أن يتخلى المشهد عن

طاقته الإيحائية الإسقاطية ، حيث يمكن - بل ينبغى على المخرج - أن يجعل ملابس الجنود الذين اكتسحوا القدس وقتلوا أهلها يلبسون ثيابًا عسكرية عصرية ، بل يمكن أن يكون هذا المشهد وثائقيًا ينتزع من « أفلام » احتلال القدس عام ١٩٦٧ ، وما بعدها .

وهناك مشهد « إسقاطى » آخر ، يعطى المخرج هامشًا من التصرف يصب فى خانة التفسير السياسى (المعاصر) للمسرحية . لقد ذكرت المصادر التاريخية أنه عقب دخول الفرنجة القدس ثار علماء الإسلام واستثاروا الجمهور حتى أُنزل الخطيب عن منبر المسجد الجامع فى بغداد وكُسر المنبر . لقد أفاد المؤلف من هذه الحادثة العنيفة ، ولكى يبرز المفارقة بين هموم الشعب وغفلة السلطة عرض هذا المشهد على نقضيه ، فبعد أن يصف خطيب المسجد ما يجرى فى شارع الحياة العامة : « تمر مجموعة من الخدم والغلمان والجوارى والحواشى - تحمل الملابس الفاخرة والأثاث والحلى والجواهر - من خلف شبابيك المسجد و بالزغاريد والأغانى والتصفيق ، بحيث تطغى على صوت الخطيب » .

أحد المصلين لمصل آخر : ما هذا ؟

المصلى الآخر : هذه هى السيدة خاتون ، أخت السلطان وزوجة الخليفة ، وصلت من أصفهان . . » إلخ - ص ١٩١ .

يحتاج هذا المشهد أيضًا إلى تقنية فنية غير تقليدية ، نعتقد أنها كانت تتحرك فى خيال المؤلف وهو يرسم اللوحة النقيض ، ويحدد علاقة مايجرى بالمسجد بما يجرى فى الشارع قريبًا من المسجد ذاته ، هنا الاستعانة بالسنيما أو ما يشبهها . وإذا كان المدى الزمنى لا يعطى فرصة لمشهد استعراض راقص ، لهذا الموكب العابر ، فإنه من الممكن أن تؤدى الموسيقى التصويرية دورًا بنائيًا مؤثرًا فى تجسيد الحالة ، وأن يمتد زمن المشهد إلى دقيقة أو دقيقتين أو ثلاث . وكذلك يمكن أن يتقاطع مع الحوار الآخر (طرفاه خطيب المسجد ، وابن الخشاب القادم من دمشق يعلن غضبة الناس) فتأتى جملة بين الرجلين المصليين المتسائلين عن موكب الزغاريد ، تعقبها جملة بين الشيخين الغاضبين ، وهكذا يتكرر التقاطع بما يؤكد معنى القطيعة بين الطرفين ، وهو مايستفاد من الإسقاط فى هذا الموقع من المسرحية . ولقد أشرنا قبل إلى أن مسرحية (عودة هولاكو) يمكن أن تقدَّم فى شكل الدراما الغنائية التى تعتمد على الحركة والإيقاع ، يتخللها عبارات ومواقف حوارية مركَّزة كما هو الوضع فى المسرحية ، ونرجح أن مسرحية « الواقع » تتقبل هذا الأداء التشكيلى بأقل درجات التدخل ، وإنها ستكون عملاً متميزًا بهذا المستوى من الإخراج .

ونختم هذا العرض العام بأن نقول أننا أمام ثلاثة أعمال جادة ، تتوغل فى التاريخ ، ولكن توغلها الحق فى أفكارنا ونفوسنا ، والمهم أن هذه الأعمال تحققت بقلم رجل من رجال السياسة وصنع القرار ، ومع هذا لم يترفق بالساسة وصناع القرار ، لم يخرجهم من دائرة التقصير ، ولم يقلل من حجم مسئولياتهم عما جرى لأمتهم قديمًا ، وما يجرى الآن . وهذا المسلك - على المستوى الشخصى - يدخل فى دائرة الشجاعة الأدبية ، وله من المعانى الأخلاقية دلالة التطهير وقوة الاعتراف ، أما من الوجهة الفنية فإن هذه المسرحيات التى جمعت فى نسيج واحد بين تعليم التاريخ ، والتربية السياسية ، وإحياء نازع الانتماء القومى ، هذه المسرحيات حققت أهم أصول التشكيل المسرحى للمادة التاريخية ، وحاولت أن تفيد من دعوات الحداثة المسرحية دون أن تلج فى التغريب والإثارة الفنية ، التى إذا بولغ فيها لابد من أن تؤثر سلبًا على الهدف السياسى التربوى . فى المسرحيات الثلاث اهتمام واضح برجال الدين من علماء وقضاة ، والاهتمام لا يعنى أن يكونوا فى صورة مثالية ، فالمسرح - والمؤلف كذلك - ليس معنيًا بمداراة العيوب أو تجميل القبيح ، إن القلم فى يده مثل مبضع الجراح ، يجرح ويقطع ، ويسيل الدم ، ولكن بحساب وتقدير دقيق ،

ولقد كتب بحساسية مفرطة ، يحتاج إدراكها إلى قراءة متأنية . نستعيد رصده لنوازع عامة الفرنجة فى اللحاق بالحملات المتجهة إلى الشرق (الواقع : ص ١٧٠) ، أو قول أحد القسس إنه يبحث عن مداواة روحه ، وفى هذا رعاية لخصوصية اللغة ، أو فى تكرار ظهور الجموع فى هذه المسرحية أكثر من سابقتيها ، وهذا يتجاوز مظهر الكورس ووظيفتة ، إلى التأكيد القوىّ على أن القدس ليست قضية يختص بها قادة ، أو أفراد أو شعب . . إنها قضية هذه الجموع العربية الإسلامية فى كل بقاع الأرض .

عودة هولاكو

من قراءاتى لتاريخ الأمة العربية وجدت أن ما جرى للدولة العباسية قبل سقوطها مشابهًا لما يجرى الآن على الساحة العربية ، وكأنما التاريخ يعيد نفسه ، فكتبت هذه المسرحية من منظور تاريخى لواقع مؤلم .

إن أسماء الشخصيات والأماكن والأحداث فى هذه المسرحية كلها حقيقية . وإن كل عبارة فى هذا النص تدل دلالة واضحة على ما يجرى للأمة العربية .

المؤلف

الفصل الأول

الزمان

سنة ٦٥٣هـ الموافق لسنة ١٢٥٥ مـ .

المكان

مجلس الخليفة المستعصم ببغداد ومعه الوزير ابن العلقمى والدويدار الصغير قائد الجيش .

المستعصم : دويدار يا قائد جيشنا ما أخبار المغول ؟

الدويـــدار : إنهم يحاصرون ثلاث قلاع من قلاع المسلمين يا مولاى فى منطقة « تون » و « تركشيز » « وكاملى » . ولا أحد من المسلمين يقوم بنجدتهم إنه التخاذل والله .

المستعصم : وأنت يا وزيرنا يا ابن العلقمى ما أخبارك عن المغول ؟

ابن العلقمى : مولاى قيل إن قائدًا من المغول يدعى هولاكو قد وصل إلى تلك القلاع .

(يدخل الحاجب يحمل رسالةً وهو يقول)

الحـــاجب : مولاى . . رسول من قبل هولاكو قد حضر وسلّم هذه الرسالة .

(يتسلّم ابن العلقمى الرسالة فيطلب منه

المستعصم أن يقرأها)

المستعصم : اقرأها يا ابن العلقمى .

(ابن العلقمى يقرأ الرسالة فيقول) :

ابن العلقمى : مولاى إن هولاكو يطلب منك أن ترسل كتيبة من قبلك مساهمة منك فى حربه ضد تلك القلاع المسلمة التى يحاصرها .

المستعصم : وأنت ما رأيك يا ابن العلقمى ؟

ابن العلقمى : مولاى رأيى أن نرسل كتيبة تساهم فى القضاء على تلك القلاع .

المستعصم : وأنا رأيى من رأيك .

الدويدار : أنا أعترض على إرسال قوة للمشاركة فى تلك الحرب .

(ابن العلقمى موجهًا كلامه للدويدار)

ابن العلقمى : أولاً : هؤلاء الناس يخالفوننا فى الرأى والتوجه .

ثانيًا : إنهم خطر على المنطقة ، ألم تسمع بقائمة الضحايا على أيدى أولئك الناس . . ونحن لماذا نلوم المغول فى حصارهم لتلك القلاع . . . ألم يكونوا جيوبًا للإرهاب فى بلاد

المغول ، وتهديد أمن بلاد المغول والرؤساء المغوليين أنفسهم دون استثناء ؟

دويـــــدار : أنا معك يا ابن العلقمى ، ولكن هولاكو ليس فى حاجة لتلك المساعدة ، إنه ماكر يريد خروج هذه القوات من بغداد وبذلك يسهُل عليه احتلال بغداد .

المستعصم : مارأيك أنت يادويدار ؟

دويـــــدار : أرسلوا له بعض الهدايا بدلا من الجنود .

(يخرج دويدار ويبقى المستعصم مع وزيره)

المستعصم : (**لابن العلقمى**) قم يا وزيرى واكتب رسالة لهولاكو . (**ابن العلقمى يمسك بالورقة والقلم والمستعصم يحاول أن يملى عليه قائلا**) اكتب .. اكتب ..

ابن العلقمى : مولاى دعنى أنا أكتب الرسالة . (**وبدأ يكتب وينطق بما يكتب**)

من الخليفة العباسى المستعصم عبد الله بن المستنصر إلى هولاكو العظيم ..

إنى ألتمس منك المعذرة والصفح لعدم إرسال ما طلبت من قوات لمساعدتك .

(هنا يثور الخليفة قائلاً)

الخليفـــة : أنا الخليفة العباسى أتذلل لهذا الكافر .

ابن العلقمى : مولاى . . إنها حبر على ورق ولن يطّلع عليها أحد ودويدار غير موجود حتى يعترض على هذه الكلمات .

المستعصم : حسنًا يا ابن العلقمى . أكمل الرسالة .

(ابن العلقمى يكمل الرسالة ثم يسلمها للمستعصم فيقرؤها ويوقعها ثم ينهض ويكشف عن سجادة تغطى صناديق كثيرة مليئة بالمجوهرات ليستخرج الهدايا لهولاكو يفتحها واحدا واحدا فيخرج منها بعض المجوهرات ويتردد فى إعطاء ابن العلقمى كل المجموعة . . قائلاً)

لا هذا كثير . هذا فقط . ولا هذا . هذا فقط .

ابن العلقمى : مولاى لديك الكثير من المجوهرات ولن ينقص من هذه الصناديق أى شىء . . إنك تدفع شرًا . .

المستعصم : هذه المجوهرات والأموال ضمانة لهذه الخلافة

(يحمل ابن العلقمى الرسالة والمجوهرات ويخرج)

(يدخل المستعصم إلى داخل البيت حيث يسمع أغانٍ وضحكات نساء وتسمع أصوات بالباب ، والحاجب يمنع دخول مجموعة من الشباب . يدخل الحاجب إلى الخليفة وتدخل مجموعة منهم وأحدهم يقول)

أحد الشباب : نريد أن نكلم الشرابى كبير البلاط .

الحـــاجب : إنه بالداخل مع الخليفة .

(ضجيج يعلو من الشباب وهنا يدخل الشرابى من ناحية بيت الخليفة)

الشـــرابى : ما هذه الفوضى . .

من أنتم وماذا تريدون . .

أحد الشباب : نحن مجموعة من الشباب المسلم جئنا لمقابلة الخليفة .

الشـــرابى : الخليفة مشغول الآن . .

(تسمع أصوات الموسيقى وضحكات النساء)

أحد الشباب : ما مصيبة هذه الأمة إلا أنت ، رتبت لاختيار هذا الخليفة الضعيف ، وأخذت تغريه بالنساء والرقص واللهو حتى تسيطر أنت وأمثالك على مقدّرات الحكم . . . هناك كثير من بنى العباس

أدخلتموهم السجن وعذبتموهم عندما رفضوا المبايعة لهذا الخليفة حتى أجبرتموهم على الاعتراف به .

الشرابى : اخرجوا . . الخليفة لا يريد أن يقابل أحدا . .

(يعلو صوت الشباب)

الخليفة : **(من الداخل)**

شرابى . . من عندك ؟

الشرابى : مولاى إنها مجموعة من الغوغائيين .

الخليفة : اطردهم يا شرابى . .

(شرابى يدفع بالشباب إلى الخارج بواسطة جنود برماحٍ ويعلو صوت الموسيقى وقهقهات النساء)

يسدل الستار

الفصل الثانى

قلعة ميمون فى بستام شمال إيران . وأمام قلعة ميمون التى بها ركن الدين خورشاه شيخ الطائفة نصب هولاكو خيمته .

هولاكو يزمجر وهو يرسل آخر رسول له لركن الدين خورشاه .

هـــــولاكو : قلعة ميمون جعلتنى مجنونًا .. لا يمكن اقتحامها . . وطال حصارنا لها واقترب الشتاء بثلوجه وبرده القارس الشديد .

أحد رجال هولاكو : سيدى لننتظر الجواب .

هـــــولاكو : لقد بعثت له بعثة تلو بعثة ورسولاً بعد رسول لا تقل عن ثمانى مناسبات أطلب منه الاستسلام ، أتوعده بالويل تارة ، وبالخير تارة ، ولكنه يرفض . .

أيها السفراء اذهبوا إلى ركن الدين خورشاه واعطوه باسمى ضمانا لحياته وحياة من معه .

(خروج السفراء إلى القلعة وهو يسألهم)

(يلتفت إلى قواده)

ما أخبار القلاع الأخرى ؟

أحد القادة : إنها تقاومنا ، بعضها وصل حصارنا لها مدة سنة وتستطيع أن تقاوم عشرين سنة .

هـــولاكو : لا تيأس . .

(وهو يربت على كتفه ويقول)

هاتوا الشراب والراقصات هيا . هيا .

(يؤتى بالشراب ويسمع صوت موسيقى مغولية والكل ينظر إلى جهة من المسرح وكأن هناك راقصات)

(يصل الحاجب وهو يصيح)

الحـــاجب : سيدى . . سيدى . . فتحت القلعة . .

(تصمت الموسيقى . ويصيح الحاجب مرة ثانية)

فتحت القلعة وركن الدين خورشاه وأتباعه قادمون مع السفراء . .

(يبتهج هولاكو وهو يقول)

هـــولاكو : عظيم . . عظيم . .

(ويرقص هو وأتباعه لفترة ثم يدخل ركن الدين خورشاه بلباس إسلامى ذليلا يرحب به هولاكو ويجلسه بالقرب منه ويقول)

هـــولاكو : أحضروا فتاة مغولية لركن الدين خورشاه . . والآن نريدك أن تتعاون معنا ونوقف سفك الدماء . .

ركن الدين خورشاه : تفضل . .

هـــولاكو : أريدك أن تبعث برسل إلى القلاع المنيعة تطلب من قواتك هناك الاستسلام .

ركن الدين خورشاه : **(لوزرائه)**

ليذهب كل واحد منكم مع فرقة من فرق هولاكو ليطلب باسمى الاستسلام .

(يخرج وزراء ركن الدين خورشاه ويلتفت هولاكو لأحد الحراس ويقول)

هـــولاكو : هل أحضرتم البنت المغولية . .

(يرد الحارس)

الحـــارس : نعم سيدى إنها بالداخل . .

(مشيرًا إلى جهة من المسرح)

هـــولاكو : **(مخاطبا ركن الدين خورشاه)**

تفضل يا عزيزى واقض ليلة هانئة مع زوجتك . .

(يدخل ركن الدين إلى جهة من المسرح ويخرج هولاكو وتبدأ موسيقى مغولية مع

الإظلام تدريجيا . ثم بعد اكتمال الظلام يرجع النور على ركن الدين جالسا فى تلك الخيمة ويدخل عليه الجوينى أحد أتباعه ، ويسلم)

ركن الدين خورشاه : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . . تعال يا جوينى . . ما الأخبار ؟

الجـــوينى : مولاى . . لقد استسلمت القلاع كلها . . والشعب ثائر عليك . . إنك فى خطر يا مولاى .

ركن الدين خورشاه : كله من تدبير الطوسى ، الذى كان يسعى وراء مصالحه الشخصية ، إنه هو الذى أقنعنى بالاستسلام ، والآن هو الذى سيرافقهم إلى بغداد .

(يدخل فى هذه الفترة هولاكو مزمجرًا)

هـــولاكو : مرحبًا صديقى العزيز . . أتمنى أن تكون قضيت ليلة هانئة مع زوجتك المغولية .

ركن الدين خورشاه : أيها العظيم أرجو أن تعفينى من الذهاب معك ، وأن ترسلنى إلى بلاد المغول مع هذه الزوجة المغولية . .

هـــولاكو : لك ما شئت يا عزيزى . . لقد أنهيت مهمتنا بسلام . تفضل . .

(مشيرًا إلى جهة من المسرح ويخرج خورشاه مع الجوينى)

(يلتفت هولاكو للقائد توتار)

أيها القائد توتار : أرسلوا ركن الدين خورشاه إلى بلاد المغول . .

(وهو يشير بيده على رقبته هو بصوت « كلك » علامة على القتل)

(يدخل على هولاكو أحد موظفيه حاملا رسالة وهو يقول)

أحد الموظفين : سيدى . . هذه رسالة من الخليفة العباسى يرفض فيها إرسال قوات للمشاركة فى حربنا ضد القلاع . .

هـــــولاكو : **(يقهقة . . وهو يرقص)**

ها ها ها . . إذن إلى بغداد لتأديبه هناك . .

(يرفع سيفه ويخرج من جهة المسرح وهو يصرخ)

بغداد . . . بغداد . . القوة هى الحق وهى شعارنا دائمًا .

(موسيقى حربية)

يسدل الستار

الفصل الثالث

قصرالخليفة العباسى كما هو الحال فى الفصل الأول .

المستعصم : ما أخبار هولاكو يا دويدار .

الـــــدويدار : مولاى . .إنه قد وصل إلى همذان .

المستعصم : إنه لم يرد على رسالتنا له .

ابن العلقمى : لقد استولى على القلاع المنيعة ولا داعى لمساعدتنا .

الـــــدويدار : إنها الخيانة والذل هى التى مكنته من احتلال القلاع .

(طارق بالباب ثم يدخل الحاجب حاملارسالة وهو يقول)

الحـــاجب : رسالة من هولاكو . .

(يتسلمها الدويدار . . فيقول له المستعصم)

المستعصم : اقرأها يا دويدار . .

دويـــــدار : **(يقرأ الرسالة)**

من هولاكو إلى المستعصم

إننا أرسلنا إليك رسلنا فى الوقت الذى ذهبنا فيه

لفتح قلاع الملاحدة . وطلبنا منك مساعدتنا بإرسال مدد من الجند ، ورغم أنك أظهرت الطاعة إلا أنك لم تبعث الجند المطلوبين ، إذ أن علامة الطاعة وتنفيذ الأوامر والوقوف معنا هو أن ترسل لنا جيشًا .. عندما نسير إلى الحرب ضد الطغاة ، ولكنك لم ترسل إلينا الجند ، وقدمت أعذارًا جوفاء .. ومع هذا فإن أطعت الأوامر ، فإن كل ما سبق سيكون فى طى النسيان ، وعليك أن تهدم الحصون ، وأن تردم الخنادق التى حول بغداد وأن تسلِّم إدارة شئون البلاد إلى ابنك ، ثم تسارع إلى المثول بنفسك أمامنا ، وإذا لم تفعل ، ولم ترد الحضور بنفسك فيجب أن ترسل وزيرك وقائد جيشك لكى يقوم بإبلاغ رسالتنا لكى تصلك دون زيادة أو نقص .

المستعصم : (فى حالة غضب)

أنا الخليفة العباسى يأمرنى هذا الأحمق .. اكتب يا ابن العلقمى ..

هولاكو .. إنى أحذرك أنت وجنودك من

غضب الله الذى سينزل عليكم إن تعرضتم لبنى العباس .. إن المسلمين من المشرق إلى المغرب كلهم تحت طلبى ورهن إشارتى ، سيسيرون تحت قيادتى ضد المغول الغزاة .

(الدويدار ينظر إلى السقف ويقلِّب بصره ، ويلعب بأصابعه لادعاء المستعصم ، بينما ابن العلقمى ينظر إلى المستعصم ويهز رأسه يمينًا و شمالاً . . وبحركة من يده وأصابعه يطلب منه أن يخفف الكلام)

المستعصم : اكتب ، ولكن هذه القوة الإسلامية أنا لا أريد أن أستعملها حتى لا ينزعج أو يتضايق هؤلاء المسلمون بسبب الحرب . .

هولاكو . . إنى أنصحك أن تصغى إلى صوت السلام ، وترجع من حيث أتيت . . وإلا أقول لك ارجع إلى خراسان ونتنازل لك عن الأراضى التى احتللتها برضانا واختيارنا . . ضمها إلى دولة المغول . . ثم ينظر إلى ابن العلقمى قائلًا : هل كتبت ؟ نتنازل عن الأراضى التى احتللتها . . ضمها إلى دولة

المغول .. ويكون بيننا السلام .

(يوقع المستعصم الرسالة ويختمها ويدفعها لابن العلقمى وهو يقول)

ابعثها مع وفد إلى هولاكو مع هدايا ..

(يخرج ابن العلقمى ، ويبقى الدويدار مع المستعصم) .

الـــدويدار : مولاى .. هل هذا الكلام صحيح ؟؟

المستعصم : صحيحٌ أنه غير صحيح ولكن ما عَرَّف هولاكو بأوضاعنا ؟

الـــدويدار : كيف ...؟ أولهم هذا وزيرك .. وكل من وظفهم لمصالحه ..

المستعصم : وزيرى أنا لا أصدق ذلك .. هاها ..

الـــدويدار : مولاى .. منذ سنتين وأنا أطالب بأن تمدنا بالأموال لتكوين جيش قوى يدافع عنك وعن الإسلام .. ما فائدة هذه المجوهرات التى ملأت بها خزائنك .. كما طالبتك بأن تعرض القضية على جميع القادة المسلمين ليتحمل كل واحد منهم هذه المسئولية .. ولكنك لم تستمع لكلامى واقتنعت بكلام ابن العلقمى ..

(**يدخل ابن العلقمى وهو يقول**)

ابن العلقمى : لقد بعثنا الوفد إلى هولاكو . .

(**يخرج الدويدار غاضبًا**)

ابن العلقمى : ما خطب هذا الرجل ؟

المستعصم : لا عليك . . قل لى ما العمل حتى نوقف هولاكو من الزحف علينا ؟

ابن العلقمى : مولاى . . ينبغى علينا أن ندفع الخصم ببذل الأموال .

المستعصم : كيف . . مثل ما اقترح الدويدار؟؟

ابن العلقمى : وما الذى اقترحه الدويدار .

المستعصم : بذل المال فى تأسيس الجيوش .

ابن العلقمى : (**هو يضحك**) . . ستزهق النفوس . . وتضيع الفلوس . . مولاى . . إن قوة المغول عظيمة لا نستطيع أن نجابهها ولديهم سلاح فتاك . .

المستعصم : ما هذا السلاح ؟

ابن العلقمى : إنه المنجنيق والعربات الخاصة بقذائف الأسهم النارية . . إن الخبراء الصينيين هم الذين يديرون آلاتهم القاذفة .

المستعصم : ما العمل ؟؟

ابن العلقمى : **(من ورقة كانت بجيبه)**

مولاى .. إن الخزائن والدفائن التى تملكها .. حُفظت لهذا اليوم لتدرأ الشر عن هذه الأسرة .. ولحماية الكرامة والعرض وسلامة النفس .. لذلك فإنه يجب إعداد :

* ألف حمل من نفائس الأموال .
* ألف من نجائب الإبل .
* وألف من الجياد العربية المجهّزة بكل الآلات والمعدات التى تحتاجها ، مع تقديم الاعتذار إلى هولاكو ، ونجعل الخطبة فى المساجد باسمه ، وتُضْرَب النقود باسمه .

المستعصم : عظيم .. عظيم .. أنا موافق على هذا الرأى الصائب .. لتجهز تلك الأشياء بسرعة ثم ترسل إلى القائد المغولى .. هولاكو .

(هنا يدخل الدويدار وهو مستهزئ)

الـــدويدار : الله .. الله .. كملتها يا ابن العلقمى ..

ابن العلقمى : ماذا تعنى ؟؟

الـــدويدار : المؤامراة يا خائن يا صاحب المصالح الشخصية .. والتودد لدى هولاكو ..

ابن العلقمى : مولاى .. أنا لا أقبل بهذا الاتهام ..

الـــــدويدار : والله لأتصدى بنفسى ورجالى وأصادر تلك الهدايا والتحف وأحتجز المبعوثين المرافقين للحملة التى تحملها ..

المستعصم : **(مطمئنًا الدويدار)**

طيب .. طيب كما تريد .. سنبعث الدرتنكى بقليل من الهدايا ..

الـــــدويدار : ايش الذى عمله الطرطنكى مالك هذا .. رايح جاى على هولاكو .

ابن العلقمى : قبل أن تخرج .. ما هذه المهزلة التى عملتها يا دويدار .. بإرسال القوات إلى الكرخ لقتل ونهب أهل الكرخ ونحن فى هذه المحنة .. إذا كانت لديك الشجاعة أظهرها على المغول ليس على هؤلاء العزَّل ..

(يلتفت ابن العلقمى للمستعصم)

مولاى .. حتى ابنك كان مشتركا فى تلك المؤامراة ..

المستعصم : اخرجوا عنى .. اتركونى وحدى ..

(يخرج الدويدار ثم يتبعه ابن العلقمى)

الخـــليفة : (وهو يقول)

يا إلهى .. إننى محتار بين العلقمى والدويدار . .

(يبقى الخليفة مطرقًا والنور يخفت حتى الإظلام الكامل)

(صوت من الكواليس يقول : وتمر الأيام)

(المستعصم جالسًا فى مجلسه ومعه ابن العلقمى . . ويدخل الدويدار يسحب الدرتنكى وهو يسحب صندوق الهدايا ومن خلفهم ابن العلقمى) .

الـــدويدار : خذ هذا الطرطنكى مالك وهداياك . .

المستعصم : ما وراءك يا درتنكى . .

الـدرتنكى : لقد طُردت يا مولاى ، وحملنى هولاكو رسالة لك يقول إنه يجب عليك أن تحضر بنفسك إذا كنت تريد أن تكون حاكمًا تابعًا . . وإلا فأرسل حالاً وبدون تأخير الوزير ابن العلقمى والدويدار قائد الجيوش ونائبه سليمان شاه .

ابن العلقمى : عظيم . . نذهب كلنا . .

المستعصـم : أنا موافق لتذهبوا جميعكم .

الــــدويدار : (للمستعصم) ومن يقود جيوشك ويدافع عن بغداد .. إن هولاكو يريد أن يحجزنى مع سليمان باشا أو يقتلنا ، وتصبح الجيوش بلا قيادة .

المستعصم : ها .. صحيح ..

(هنا يدخل الحاجب وهو يصيح)

الحــاجب : مولاى .. جيوش هولاكو تحاصر بغداد .

المستعصم : لاحول ولا قوة إلا بالله العظيم .. دبرنى يا دويدار .

الـــدويدار : يذهب هو لهولاكو **(يشير على ابن العلقمى)** ونبقى نحن أنا وسليمان شاه معك ..

المستعصم : **(لابن العلقمى)**

جيد .. قل لهولاكو إننى وفيت بوعدى .. أرسلتك يا ابن العلقمى واطلب منه أن يعفينى من إرسال الدويدار وسليمان شاه .. هيا اذهب .

(يخرج ابن العلقمى)

(الدويدار يستأذن المستعصم فى الخروج وهو يقول)

الـــدويدار : اسمح لى يا مولاى أن أخرج لترتيب القوات للدفاع عن بغداد . .

(يخرج الدويدار والخليفة يجول فى أرجاء المسرح وهو يقول)

الخــــليفة : حتى ولو فكر إنسان بالهروب لا يستطيع فجيوشهم تحاصر بغداد .

(وبعد برهة يدخل ابن المستعصم أبو العباس)

أبو العباس : السلام عليك يا أبتاه . .

المستعصم : وعليك السلام يا ولدى . .

أبو العباس : أبى بلغنى أنك بعثت بابن العلقمى لهولاكو ؟

المستعصم : نعم يا ولدى . .

ابن العباس : ولكن ابن العلقمى لا يزال فى بغداد والمغول أطبقوا على أسوار بغداد . .

المستعصم : الآن بدأت أشك فى ابن العلقمى .

أبو العباس : وما الفائدة الآن يا والدى ؟
كم حذرتك من ابن العلقمى .

المستعصم : ولدى . . خذ معك بعض الهدايا وموظفى الدولة وأعيان البلد واذهبوا لهولاكو وخذوا ابن العلقمى وياكم .

أبو العباس : ابن العلقمى .. بعد ..

(يخرج أبو العباس ويبقى المستعصم مضطربًا يجول فى الغرفة .. والأصوات من الكواليس بأصوات الحرب تقترب .. وهاتف يقول)

الهـــاتف : سقط برج العجمى فى أيدى المغول ..

(أصوات الحرب)

الهـــاتف : هُدِم السور الشرقى ..

(أصوات حرب)

الهـــاتف : دخل المغول بغداد ..

(أصوات حرب)

الهـــاتف : قُتِلَ الدويدار .. قتل الدويدار ..

(أصوات حرب)

الهـــاتف : مجموعة الشباب المسلم لابسو الأكفان البيضاء .. استشهدوا جميعهم على الجسر ..

المستعصم : ليتنى قابلت الشبان المسلمين .. ليتنى استمعت لهم .. وأخذت بنصيحتهم ، وقتها التهيت مع النساء .

(أصوات حرب)

المستعصم : سأسلم وأطيع ..سأسلم وأطيع .. أيها

الحاجب .. يا صاحب الديوان .. تعالوا ..

(يدخل هنا الحاجب وصاحب الديوان)

المستعصم : **(يسلمهما أكياسًا بها أموال ويقول)**

خذوا هذه الأموال إلى هولاكو .. خذوا هذه الأموال إلى هولاكو .

(يخرج الحاجب وصاحب الديوان تُسمَعُ جلبةٌ وأصوات وإذا بهولاكو يدخل وهو يقهقه)

هـــولاكو : آه .. أيها الخليفة .. كيف ترسل لى الرسائل أن أرجع بعد ما قطعناه من هذه المسافات الشاسعة ودون أن نراك .. نحضر ونلقاك ونتحدث معك ثم نطلب الإذن بالسماح لنا بالعودة .. ها .. ها .. ها ..

أيها الخليفة ألا تعلم أن الله قد اختار جنكيز خان ليحكم العالم ، ومنحه ونسله كل وجه الأرض من المشرق إلى المغرب . فإن كل من أطاعنا وسار معنا واستقام على ذلك قلبًا ولسانًا سيكون سعيدًا فى هذه الحياة .. أما من خالفنا فإنه لن يهنأ بهذه الحياة ..

أيها الخليفة .. **(مستهزئًا)** ما هذه الصناديق الكثيرة .

المستعصم : إنها أموالى هى كلها لك أيها الملك .. كلها لك ..

هـــولاكو : لا ، هذا لا يكفى ..

المستعصم : ليس عندى إلا هذا ..

هـــولاكو : وما بال الذهب المدفون فى حوش القصر ؟؟

المستعصم : نعم .. نعم.. تحت أمرك .

هـــولاكو : **(مخاطبًا الخليفة)**

اذهب مع الجنود وأرشدهم إلى الذهب ..

(يخرج الخليفة مع الجنود المغول وهولاكو يقهقه وتُفتح له الصناديق واحدا تلو الآخر وهو ينظر للمجوهرات .. عندها يعود الخليفة والجنود المغول ويقول أحدهم)

أحد الجنود : سيدى .. إن الحوش بأكمله مدفون به ذهب خالص ..

(هولاكو يلتفت للخليفة وهو يقول)

هـــولاكو : لأى يوم جمعت هذا المال .. كان الأجدر بك أن تصرف هذه الأموال على تكوين الجيوش للدفاع عنك وعن مُلكك .. أيها الجنود خذوه واسلخوا جلد وجهه حيًا وأتونى بالجلد ..

(الخليفة يتمتم بكلمات)

الخـــليفة : أريد أن أتوضأ . . أريد أن أصلى . . أريد أن أتوضأ . . أريد أن أصلى . .

هـــولاكو : خذوه . . هيا . .

(الخليفة يجرى إلى الخارج . يسمع صوت الخليفة وهو يصرخ صرخات متتالية ثم يسكت . . يدخل أحد الجنود وهو يقول)

أحد الجنود : سيدى لقد مات فى يدنا قبل إتمام السلخ .

هـــولاكو : اسلخوا جلد وجهه ميتا وأتونى بالجلد .

هـــولاكو : أحضروا ابن العلقمى . .

(يدخل ابن العلقمى يزهو بلباسه)

هـــولاكو : تفضل يا صديقنا . . **(يُجلسه بالقرب منه)**

هـــولاكو : اسمع يا ابن العلقمى . . لقد خدمتنا طوال السنين التى مضت ، وكنت عيننا التى ترى ، وكانت كلماتك للخليفة بها مفعول سحرى حتى أطاعك الخليفة فى كل الأمور . والآن نكافئك بأن تتسلّم أنت الوزارة وتدير أمور بغداد . . **(ينظر هولاكو بإمعان لابن العلقمى ويقول)**

هــــولاكو : أما هذا ما أردت . . ؟

ابن العلقمى : سيدى . .

ولكن . .

هــــولاكو : **(معترضًا)**

دعنا من هذا وتسلّم مسئوليتك . . ويكون هذا الأمير المغولى صاحب الشأن ترجع إليه بكل الأمور وتستشيره . **(هولاكو يقدم شابًا)**

ابن العلقمى : **(مستغربًا)** هذا . .

هــــولاكو : نعم هذا . . أما أنا فإنى سأفتح بقية بلدان المسلمين بقوة السلاح . . إلى الشام . .

(يشير هولاكو لابن العلقمى بيده وهو يقول)

إلى الحرب مرة أخرى . . القوة هى الحق وهى شعارنا دائمًا .

يسدل الستار

الفصل الرابع

ابن العلقمى جالسًا على كرسى الوزارة ومعه بعض الوجهاء .

(صوت من الكواليس يقول)

الصـــــوت : وتمر الأيام . .

أحد الوجهاء : يا ابن العلقمى نُبِشَتْ قبور الخلفاء . . ونُثرت عظامهم وأُحرقتَ أماكن كثيرة . . وهُتكت الأعراض . . وأُخرجت الكتب من مكتبة بغداد وأُلقيت فى النهر لتعبر عليها خيلهم . . لابد أن تتدخل يا ابن العلقمى . .

(يدخل هولاكو مزمجرًا)

هــــولاكو : مرحبًا يا وزيرنا العزيز . . ما أخبار بغداد ؟

ابن العلقمى : مرحبًا بعظيمنا . . مرحبا بملكنا . . سيدى إن الناس فى بغداد كلهم سعداء ويتطلعون للقاء بك . . حتى الذى أخطأ وقاوم المغول . . فإنهم يريدون العفو منك . .

هــــولاكو : العفو على طريقة السلطان عز الدين . .

ابن العلقمى : وما هى طريقة السلطان عز الدين . . ؟؟

هـــــولاكو : السلطان عز الدين ملك الروم قاوم أحد قوادنا الذى أرسلناه إليه فبدلاً من أن يرحب به قام بمحاربته ، وكنت حاقدًا عليه إلا أنه قَدم علىَّ قبل أيام عند حدود تبريز بعد أن عرف باستيلائنا على بغداد وقد قدّم اعتذاره بطريقة عجيبة . . رسم وجهه تحت النعال وقدمه لى . .

(هولاكو يخلع النعال ويوجه قاع النعال ناحية الجمهور لإظهار الصورة وهو يقول)

قال السطان عز الدين : إن هذه صورتى التى تحت نعلك آمل أن تكون شفيعًا لى ، وتجعلنى مفتخرًا بلطفك . . يا ابن العلقمى ألا تريدنى أن أعفو عنه . عفوت عنه . .

ابن العلقمى : سيدى إن الناس يشتكون من المغول . . يمدون أيديهم ويتطاولون على الرعايا . . المفروض يا سيدى تأديبهم . .

هـــــولاكو : أنت والطوسى تتشابهان فى كل شىء حتى فى المنطق . . هو قال لنا نفس الكلام عندما كنا فى تبريز . . فقلنا له إننا فى حالة استيلاء لا يُلْتَفت فيها إلى أحوال الرعايا . . ولكننا بعد

أن ننتهى من الاستيلاء والفتوحات نصغى إلى
سماع شكاوى الناس وتظلمهم . .
أنا جئت لأودعك لأنى راجع إلى بلاد المغول
. . مع السلامة يا صديقنا العزيز . .

ابن العلقمى : مع السلامة . . سيدى مع السلامة . .

(يخرج هولاكو وهو يشير إلى الأمير المغولى قائلاً)

هـــــولاكو : تعاون مع الأمير المغولى . . ها ها القوة هى الحق وهى شعارنا دائمًا .

(يخرج الأمير مع هولاكو)

أحد الوجهاء : يا ابن العلقمى لماذا لم تخبره بما جرى فى بغداد ؟

ابن العلقمى : لقد سمعتم الجواب بأنفسكم .

أحد الوجهاء : وتقول له إن الناس فى بغداد سعداء . .
لا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ القدير . .
لا حول ولاقوة إلا بالله العلىّ القدير . .

(وهم يخرجون من مجلسه يبدأ النور يخفت حتى الإظلام الكامل وصوت من الكواليس)

الصـــــوت : وتمر الأيام . .

(ابن العلقمى جالسا فى مجلسه ومعه بعض

مساعديه ، ويسمع أذان عندها دخل الأمير المغولى وقال)

الأمير المغولى : ابن العلقمى . . أرسل لإسكات هذا الصوت.

ابن العـــلقمى : مولاى . . هذا أذان .

الأمير المغولى : هذا إزعاج ما فيه أذان . . ابن العلقمى **(مشيرًا لمساعديه)** أسكتوه . . أسكتوه . .

(الأمير المغولى وضع حذاءه على فخذ ابن العلقمى عندما اقترب منه ، وحاول النهوض له وقال له)

لا داعى لذلك حضرت لأخبرك بأن قواتنا قتلت أربعين ألفًا من أهالى الحلة . وهى الآن فى طريقها إلى البصرة .

(خرج الأمير المغولى)

(ابن العلقمى يهز رأسه قائلاً)

ابن العلقمى : وجرى القضاء بعكس ما أمّلته. .

وجرى القضاء بعكس ما أمّلته . .

(أحد موظفى ابن العلقمى)

أحد موظفيه : هوِّن عليك أيها الوزير .

ابن العلقمى : إننى مغموم ومهموم من تصرفات أراذل المغول والمرتدة .

أحد موظفيه : سأقرأ عليك آيات من الذكر الحكيم .. « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .. ويقرأ القرآن .

(يدخل الأمير المغولى وهو يصيح)

الأمير المغولى : ما هذا .. ما هذا يا ابن العلقمى ؟؟

ابن العـــلقمى : إنه القرآن ..

الأمير المغولى : لا أريد أن أسمع القرآن .. إنه يسلبنى عقلى . لا أريد أن أسمعه .. ولابد من تغيير كثير من الآيات التى لا تناسبنا مثل كفار ملحدين .. آيات كثيرة يجب أن تشطب من القرآن ..

(ابن العلقمى جثة هامدة لا حراك فيها) أنا جئتك يا ابن العلقمى لأمر هام وهو أننا وصلنا إلى البصرة واستولينا على جميع الأراضى .. صحيح قتل خلق كثير .. ولكن لا يهم أسمعت يا ابن العلقمى .

(يرفسه برجله فيقع ابن العلقمى على الأرض ميتًا)

(يأمر الأمير المغولى جنوده بأن يحملوه إلى الخارج) احملوه إلى الخارج سآتى بوزيرٍ آخر .

(يخرج الأمير المغولى ، وبعد إظلام وصوت من

الكواليس « وتمر عدة أيام » والأمير يرجع ومعه شاب ويجلسه مكان ابن العلقمى وهو يقول)

الأمير المغولى : أنت الآن الوزير . .

الـــــــوزير : سمعًا وطاعة يا مولاى .

(يخرج الأمير المغولى وجنوده)

(يدخل رجل وهو يقول)

الـــــــرجل : أنا من أهالى بغداد . . لقد ظلمنى الوزير السابق . . لقد انتقم لى ربى منه . . حسبى الله ونعم الوكيل . .

(يدنو من الوزير وهو يسأله)

الـــــــرجل : ما اسم الوزير الجديد .

الـــــــوزير : ابن العلقمى . .

الـــــــرجل : ابن العلقمى مات . .

الـــــــوزير : أنا ابنه . . أنا ابن ابن العلقمى .

(يصرخ الرجل البغدادى فى وجه ابن العلقمى وهو يقول)

الرجل البغدادى : ابن ابن العلقمى رمز الخيانة مرة ثانية **(يلتفت إلى الجمهور قائلًا)** ومن يدرى لربما هو موجود بينكم الآن **(ثم ينتقل إلى وسط القاعة ويقول)**

يا عرب ! يا مسلمون ! أخرجوا ابن العلقمى من دياركم فهولاكو راجع . (**ينزل إلى القاعة ويكلّم الناس ويقول**) أخرجوا ابن العلقمى رمزالخيانة ، أخرجوا رمز الخيانة ، أخرجوا ابن العلقمى . (**يصرخ الرجل البغدادى فى وجه ابن ابن العلقمى وهو يقول**) أخرجوا ابن العلقمى من دياركم فهولاكو راجع

(**ينزل من على خشبة المسرح وهو يصيح**) .

أخرجوا ابن العلقمى من دياركم فهولاكو راجع

(**يمر بين الصفوف ويفتش عن ابن العلقمى ويصيح**)

أخرجوا ابن العلقمى من دياركم فهولاكو راجع

(**يردد تلك الكلمات وهو متجه إلى باب الصالة بينما الستارة تُقفل**)

ستار

القضية

من قراءاتى لتاريخ الأمة العربية ، وجدت أن ما جرى يشابه ما يجرى الآن على الساحة العربية .. وكأنما التاريخ يعيد نفسه .. فكتبت هذه المسرحية من منظور تاريخى لواقع مؤلم .

إن أسماء الشخصيات والأماكن والأحداث فى هذه المسرحية كلها حقيقية .. وإن كل عبارة فى هذا النص تدل دلالة واضحة على مايحدث للأمة العربية .

د . سلطان بن محمد القاسمى

الشخصيات المسرحية

(حسب الظهور)

الشاهد على التاريخ

صاحب القضية

ملوك الطوائف

ملك بنى صمادح (ملك المرية)

ملك بنى الزيرى (ملك غرناطة)

ملك بنى عامر (ملك بلنسية)

ملك بنى جهور (ملك قرطبة)

ملك بنى عباد (ملك إشبيلية)

ملك بنى مزين (ملك شلب)

ملك بنى مجاهد (ملك دانيه)

ملك بنى ذى النون (ملك طليطلة)

ملك بنى هود (ملك سرقسطة)

ملك بنى الأفطس (ملك بطليوس)

ملك بنى حمود (ملك الجزيرة الخضراء وملقة)

ملك بنى برزال (ملك قرمونة)

صوت (١)

يوسف بن تشفين

ابن عباد

أحد الوجهاء (الوجيه١)

أحد الوجهاء (الوجيه٢)

الملك فرديناند

أبو الغسان

سيد رامى

وزراء

قادة

جنود

حاشية

أحد الوجهاء (الوجيه٣)

أبو القاسم

ابن سارى

الحاجب

والدة الملك

أبو عبد الله الصغير

القائد أبو القاسم المليح

الملكية إيسابيلا

مسئولون

قساوسة

المنادى

بابا روما

والدة أبى عبد الله (عائشة)

صوت (٢)

الهاتف

رجال المقاومة (أحمد ، محمد ، عبد الله . . .)

سيدة البشرات

القائد الإسبانى

الضابط الإسبانى

جنود إسبان

المسلمون (مجموعة المسيرة / مجموعة المهجّرين / مجموعة محاكم التفتيش)

العسكرى

قاضى محكمة التفتيش

الشيخ المسلم

المسلمون (١-٦)

الفصل الأول

المشهد الأول

تُفتح الستارة على منظر ساحة على جوانبها عُلِّقت قطعٌ من أقمشة ملوَّنة تدل على أعلامِ لدول .

يدخل من جهة من المسرح رجل رث الثياب ضعيف الحال ويتلفت حوله وينظر إلى تلك الأعلام فى تلك الفترة .

يدخل عجوز ذو لحية طويلة وبيده عصا وتحت ذراعه كتاب كبير .

يُرْمَزُ للرجل رث الثياب بـ « صاحب القضية » ، ويُرمَزُ للرجل ذى اللحية الطويلة بـ « الشاهد على التاريخ » .

صاحب القضية : أيها الشيخ الجليل ، هل أنت القاضى ؟

الشاهد على التاريخ : لماذا تسأل ؟

صاحب القضية : لدىّ قضية .

الشاهد : أنا يا بُنىّ شاهد .

صاحب القضية : شاهد فى المحكمة .

الشـــــاهد : لا أنا شاهد على التاريخ .

صاحب القضية : وما الذى بين يديك ؟

الشـــــاهد : التاريخ .

صاحب القضية : وما الفائدة منه ؟

الشـــــاهد : فائدة عظيمة .

صاحب القضية : هل تخبرنى كيف الاستفادة منه ؟

الشـــــاهد : أناس لم يقرؤوه فلم يستفيدوا منه . . وأناس قرؤوه ولم يفهموه وهؤلاء لم يستفيدوا منه أيضًا . . وأناس قرؤوه وفهموه ولم يعملوا به وهؤلاء لم يستفيدوا منه أيضًا . . وأناس قرؤوه وفهموه وعملوا به وهؤلاء يستفيدون من التاريخ . . وأنت من أى نوع من هؤلاء .

صاحب القضية : أنا أريد أن أكون من النوع الأخير أريد أن أقرأه وأفهمه وأعمل به لأنّ لدى قضية .

الشـــــاهد : إذن تعال نقرؤه معًا .

(يقوم الشاهد بوضع الكتاب على طاولة فى جهة المسرح وحولها كرسيان ، يجلس الشاهد وصاحب القضية ، ويبدأ الشاهد بقراءة التاريخ من الكتاب)

الشـــــــاهد : تاريخ الرومان .

صاحب القضية : لا . . لا هذه لا تخصنا .

الشـــــــاهد : تاريخ الفرس .

صاحب القضية : ولا هذه .

الشـــــــاهد : تاريخ العرب فى الأندلس .

صاحب القضية : الله . . الله ، يالله نسمع المغنيات والموشحات .

الشـــــــاهد : **(وهو يدق على الكتاب)** هذا تاريخ شعب ومعاناة شعب .

(صاحب القضية يتلفت حوله خائفًا . .)

الشـــــــاهد : لا تخف هذا تاريخ .

صاحب القضية : أعرف . . أعرف إذن أفدنى أفادك الله .

(الشاهد يقرأ من الكتاب)

الشـــــــاهد : كان فى الأندلس دولة عربية عظيمة ضاعت عندما اختلفت النفوس فى البيت الأموى فى بداية القرن الحادى عشر فتجزأت تلك الدولة إلى اثنتى عشرة دويلة تُعرَفُ بالطوائف .

(إظلام)

المشهد الثانى

(يبدأ طرق لثلاث مرات ، ثم صوت يقول)

صوت : ملوك الطوائف

١- ملك بنى برزال .. ملك قرمونة .

٢- ملك بنى مزين .. ملك شلب .

٣- ملك بنى مجاهد .. ملك دانية .

٤- ملك بنى صمادح .. ملك المرية .

٥- ملك بنى جهور .. ملك قرطبة .

٦- ملك بنى ذى النون .. ملك طليطلة .

٧- ملك بنى عباد .. ملك إشبيلية .

٨- ملك بنى عامر .. ملك بلنسية .

٩- ملك بنى هود .. ملك سرقسطة .

١٠- ملك بنى الأفطس .. ملك بطليوس .

١١- ملك بنى الزيرى .. ملك غرناطة .

١٢- ملك بنى حمود .. ملك الجزيرة الخضراء وملقة .

(يبدأ الهرج بين ملوك الطوائف . . ويتقدم ابن صمادح ملك المرية وهو يقول)

ابن صمادح : أنتم يا بنى الزيرى ملكتم غرناطة ، وبدأتم باعتداءاتكم على أراضينا ، غركم كبر أراضيكم وكثرة عددكم ، إننا لا تهابكم. ولدينا من سيساعدنا .

ملك غرناطة : ماذا تعنى بأن لديك من سيساعدك ؟! ستلجأ إلى أعداء الإسلام وأعدائنا ؟! فوالله لا نهابكم يا بنى صمادح ولا نهاب حلفاءكم .

(يعلو صوت آخر يقول)

صـــــــوت : ماذا نفعل نحن يا بنى عامر إذا كان ملك بنى جهور ملك قرطبة يحاول ضم بلدنا بلنسية إلى مُلكه؟ نحن أقدم منه فى هذه البلدة .

(يتقدم ملك بنى جهور)

ملك بنى جهور : بلنسية لا تمثل دولة ، ما هى مقوماتك لأن تكون ملكًا ؟ ملكًا على بلدة ؟

(ثم يلتفت إلى ملك بنى حمود ويقول له)

ملك بنى جهور : اسمع يا ابن حمود : إذا كانت بلدك على الساحل وتتحكم فى الواردات إلينا بوضع

الضرائب العالية .. فنحن فى قرطبة حرمنا المنفذ إلى الساحل وبذلك لدينا المبرر أن نحتل أراضيكم لنجد لأنفسنا منفذًا إلى البحر .

(والآخرون فى شجار مستمر)

(وهنا يدخل رجل ذو هيبة وبيده سيف يشهره فى وجوههم ويعنفهم وهو يقول)

الرجل : كفى كفى .. أأنتم تتحاربون والعدو يعد العدة للانقضاض عليكم واحدًا تلو الآخر ؟!

لا يستطيع أحد منكم أن يقاوم الأعداء بمفرده .. قوتكم فى اتحادكم .. قوتكم فى نبذ الخلافات بينكم .. قوتكم فى تعاونكم فى جميع المجالات التى تعود بالنفع علينا جميعًا . اعلموا أنه لن يتوقف عدوكم عن قتلكم وسلبكم واحتلال أراضيكم إلا إذا توحدتم وجاهدتم . لكنكم فى واقع الحال تفرقتم وأصبحتم تقاتلون بعضكم بعضًا . تتقاتلون فيما بينكم والعدو متربص بكم دولةً دولةً وفردًا فردًا .

ومن الغلط أن نرحل أو نهاجر أو ننهزم . لا ،

لقد استشرتُ الأعيان والفقهاء وأيدونى ، وهم يساندوننى فى الدفاع عن الأندلس ، والجهاد فى سبيل عزتها ووحدتها . وهناك أمة عظيمة وراءكم . . أمة الإسلام .

المسلمون سيصدقون معنا إن صدقنا مع أنفسنا . . سيساعدوننا إذا وجدوا فينا العزم على الجهاد والثبات على العقيدة . . لنكن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . لنعد لهم القوة التى سترهب عدونا وعدو الله .

(يقوم ملوك الطوائف ويقربون كرسيًا ليوسف ابن تشفين ويقول أحدهم)

أحد الملوك : نحن جميعًا معك .

ابـــن عباد : يا إخوتى ، لقد سبق لى وتحالفت مع الفونشو ملك قشتالة ضد إخوتى جميعًا ، وأعلن لكم الآن بأننى الساعة نادم ندمًا شديدًا لأن الفونشو خان العهود التى وقعنا عليها ، وهددنى ، وهدد إخوتى فى الدين جميعًا . إني معك يا موحد الممالك لا أريد أن تقوم علىَّ اللعنة بتحالفى مع العدو . تالله إنى لأوثر أن

أغدو تابعًا للسلطان ابن تشفين وراعيًا لجِماله
على أن أكون تابعًا لملك النصارى الطامع . إن
رعى الجِمال خيرٌ عندى من رعى الخنازير .
نحن معك جميعًا .

(فيرد يوسف بن تشفين)

ابن تشفين : الآن نستطيع أن نحارب الأعداء بعد توحيد
هذه الممالك .. أيها الجنود اتبعونى إلى
محاربة الأعداء .. إلى الزلاقة .

(ويخرج من المسرح)

(إظلام)

المشهد الثالث

(يتوجه صاحب القضية للشاهد)

صاحب القضية : من هذا ؟

الشـــــاهد : هذا يوسف موحد القطرين .

صاحب القضية : يوسف صلاح الدين .

الشـــــاهد : يوسف بن تشفين زعيم المرابطين . وحّد الأندلس ، ثم وحدها بالمغرب ، وهزم الإسبان فى معركة الزلاقة .

صاحب القضية : ثم ماذا حدث للمرابطين ؟

الشـــــاهد : قضى عليهم الموحدون .

صاحب القضية : الموحِّدون ؟

الشـــــاهد : نعم .. الموحِّدون ادعاءً ، المفرِّقون عَملاً ، ضاعت معظم الأندلس بسبب تصرفاتهم ، ولم تبق إلا مملكة غرناطة وملوكها بنو الأحمر .

صاحب القضية : بقوا لوحدهم يجابهون الأعداء؟

الشـــــاهد : نعم ولمدة طويلة حتى جاء السلام .

صاحب القضية: السلام ؟

الشـــــــاهد : نعم هكذا مُسطَّرٌ فى التاريخ .

صاحب القضية: وماذا حدث لبنى الأحمر .

الشـــــــاهد : لنعبر التاريخ حتى نشاهد ما حدث .

(إظلام)

الفصل الثانى

المشهد الأول

(إضاءة)

(المكان : قصر الحمراء فى غرناطة بالأندلس)

(الزمان : شهر محرم سنة ٧٩٨ هـ الموافق نوفمبر ١٤٩١م)

(المنظر : مجلس أبى عبدالله الصغير فى قصر الحمراء . يتجول فى المجلس عدد من الوجهاء والقواد والحجّاب ، وكل اثنين يتحدثون مع بعضهم بعضًا ، وتظهر على وجوههم علامات الانفعال)

(يدخل أحد الوجهاء ويسأل)

الوجيه (١) : اين الملك أبو عبد الله ؟

أحد الوجهاء : إنه فى المختصر يستعد لاستقبال مندوب الإسبان الأعداء « زافرة » .

الوجيه (١) : كل مصائبنا من هذا الشيطان اللعين ، صديقه

الوزير قميحة الخائن قتل وأرسل إلى أسياده الإسبان ، فعلى من يلعب الآن ؟

الوجيه (٢) : يلعب على كبير ، على الملك .

الوجيه (١) : لا حول ولاقوة إلا بالله .

أبو الغسان : إننى . . إننى أدعوكم إلى التفكير جيدًا قبل الموافقة . . أدعوكم إلى الصمود من أجل ديننا ووطننا . . وإننى لمستعد لأن أكون أول من يستشهد على أن أستسلم لكى أبقى حيًا . . ولكن . . ذليلاً . . ومهانًا . .

سيد رامى : يا أبا الغسان لقد أمر مولاى الملك بأن يذهب وفد منا . . من وجهاء غرناطة لإبلاغ سمو الملك فرديناند . . بأننا مستعدون لتوقيع اتفاقية السلام . .

أبو الغسان : بل الاستسلام . إننى أتنبأ لكم أيها المسلمون بأنكم ستكونون أول من يُطرد ويهجَّر من الوطن ، فلا تخدعوا أنفسكم . إن طريقكم هذا سيقودكم إلى الضياع . اعلموا ، لم يبق لدينا ما نحارب من أجله سوى الأرض التى نقف عليها ، ومتى ضاعت منا فلن يبقى لنا اسم ولا وطن .

(تعتيم وموسيقى)

المشهد الثانى

(الإضاءة على الشاهد وصاحب القضية) .

صاحب القضية : ماذا حصل . . ؟

الشـــــاهد : الذى حصل هو أن الوزير والوجهاء ذهبوا ليتفاوضوا مع الإسبان ثم عادوا ومعهم المدعو زافرة .. يحمل وثائق وشروط الملكين الكاثوليكيين للتوقيع عليهما .
وسترى الآن كيف تسلَّم الملك أبو عبد الله الصغير الاتفاقية من زافرة لقراءتها والموافقة عليها . .

(تعتيم مع موسيقى)

المشهد الثالث

(الانتقال إلى داخل قصر الحمراء)

(يخرج الملك مصطحبًا زافرة ويودعه ، بينما ينحنى زافرة للملك ، ويخرج بظهره ووجهه للملك منحنيًا عدة مرات حتى يخرج من المجلس)

(يتحلق الوزراء والقادة حول الملك ما عدا الجهة المواجهة للجمهور)

الملك : أتعلمون ماذا يريد زافرة فى هذه المقابلة ؟ إنه يعرض اتفاقية السلام بيننا وبين الإسبان . أنا فى الحقيقة لست موافقًا على هذا السلام . وجمعتكم اليوم لآخذ رأيكم فيما يعرضه الإسبان .

أبو الغسان : هل مسموح لنا أن نطَّلِعَ على الاتفاقية ؟

الملك : نعم ، تقول المادة الأولى من هذه الاتفاقية

(ويبدأ فى قراءة مجموعة من الأوراق)

- على ملك غرناطة والقادة والفقهاء والحجّاب

والعلماء والمفتين والوجهاء بمدينة غرناطة وضواحيها أن يسلّموا إلى صاحب السمو الملك فرديناند وصاحبة السمو الملكة إيسابيلا ، أو من ينتدبانه للنيابة عنهما ، فى مدة أقصاها ستون يومًا اعتبارًا من ٢ نوفمبر ١٤٩١ م ، معاقل الحمراء والبيازين وأبواب تلك المعاقل وأبراجها وأبواب المدينة المذكورة . .

(هنا يعترض أبو الغسان متضايقًا)

أبو الغسان : ولكن يامولاى هذا استسلام وليس بسلام .

(فيثور أحد الوجهاء ، واسمه أبوالقاسم بن مالك ، قائلاً)

أبو القاسم : ولكننا محاصَرون .

أبو الغسان : فليكن ، نستطيع أن نقاوم مدة طويلة .

(يتقدم ابن سارى - أحد الوجهاء)

ابن سارى : سنموت جوعًا ويموت أطفالنا .

أبو الغسان : هذه الأطعمة تملأ الأسواق .

أبو القاسم : اعلم أبا الغسان بأن مخزون الحبوب لدينا قد نفد ، ونحن محاصَرون . إن المدينة تضم مائتى ألف ساكن وجميعهم جياع يطالبوننا بالقوت .

المــــلك : إذن أخبرونى ما العمل الآن ؟

أبو القاسم : الآن لا نرى بُدًا - نحن وجهاء غرناطة - سوى أن نستسلم أيها الملك . .

المــــلك : لا أستسلم بل أوقع اتفاقية السلام .

أبو الغسان : ليأذن لى جلالة الملك : أرى أنه من السابق لأوانه الاستسلام وتوقيع السلام . . إن مواردنا لم تستنفد بعد ، فهناك مصر . . مصر ستمد لنا يد العون .

أبو القاسم : قل لى بربك كيف ستصل المعونة ويد العون إلى غرناطة . . وغرناطة محاصرة . . ؟ كيف نصمد ؟

أبو الغسان : بالسلاح . .

(يتقدم سيد رامى - أحد الوجهاء)

سيد رامى : ومن أين لنا السلاح الذى سنقاوم به ؟

أبو الغسان : السلاح يدخل يوميًا إلى غرناطة . . وعن طريق الإسبان أنفسهم .

(هنا يدخل الحاجب ويقول)

الحاجب : مولاتى والدة الملك .

(تدخل والدة الملك متجهمة ، تنظر إلى ابنها

الملك وهى تدور كأنها تستصغره)

والدة الملك : تستسلم ؟! تستسلم ؟!

المـــــلك : لا يا والدتى . . أنا سآخذ رأى قادة المجلس .

والدة الملك : مَنْ هم قادة المجلس ؟ هؤلاء ؟!!

(وتشير إلى مالك وهى تتفحصه بعينها)

والدة الملك : من ؟ أبو القاسم بن مالك ؟!

(ثم تشير إلى ابن سارى)

والدة الملك : من ؟ ابن سارى ؟!

(ثم تشير إلى سيد رامى)

والدة الملك : من ؟ السيد رامى ؟!

(وتنظر إلى ابنها) :

والدة الملك : أين عمك وعضدك وسندك ؟! لقد اغتالته الأيدى الآثمة لتفسح الطريق لمرور وثيقة الاستسلام . فى ساعة النحس هذه . .

أرى ردهات الحمراء موحشةً . . مهجورةً . .

وقد انطفأت أنوارها . .

يا للألم . . انطفأت أنوار الحمراء !

(تكررها عدة مرات وهى تخرج فتتحول إلى صدى كبير)

(تخرج والدة الملك وهى غاضبة ، بينما القادة رءوسهم منكسة من الخزى والعار ، أما المتهمون فيشتاطون غيظًا)

(يخرج من الصفوف أبو القاسم وابن سارى وسيد رامى ويتقدمون ناحية الملك والغيظ بادٍ على وجوههم وهم يرددون)

أبو القاسم
ابن سارى
سيد رامى
: نستسلم .. نستسلم .. أحسن من أن تضيع أموالنا .

(هنا يتدخل الملك)

المـــلك : لا ، نحن لن نستسلم ، ولكن سنعقد اتفاقية سلام بيننا وبين الإسبان . دعونى أقرأ عليكم بقية بنود الاتفاقية .

أين وصلنا ؟!

– بعد تسليم الأبراج والقلاع يأمر صاحبا السمو فيردناند وإيسابيلا بأن لا يصعد أى نصرانى السور القائم بين الحمراء والبيازين ، لئلا يكشف عورات المسلمين فى بيوتهم ..وإن

خالف أحد هذه الأوامر يعاقب عقوبة شديدة .

أحد الوجهاء : والله ناس محترمون .

(يستمر الملك فى قراءة الاتفاقية)

- وضمانًا لسلامة تنفيذ هذه البنود يقدم أبو عبد الله ملك غرناطة إلى الإسبان خمسمائة شخص من أبناء وبنات علية القوم فى المدينة وضواحيها ، وذلك قبيل تسليم الحمراء بيوم واحد ، مصطحبين معهم الحاجب يوسف بن قماشة ليكونوا جميعهم رهائن حتى يتم تسليم القلاع والحصون .

- يعامل المسلمون الذين شملتهم هذه الاتفاقية معاملة شريفة ، تحترم عاداتهم وتقاليدهم ، وتمنح للقادة والفقهاء الحقوق التى كانوا يتمتعون بها زمن أبى عبد الله على حالها ويعترف لهم بتلك الحقوق .

- يجب أن يقضى فى أية دعوى ومشكلة تقع بين المسلمين القضاة المسلمون ، وفقًا لأحكام الشريعة الإسلامية ، كما جرت عليه العادة .

- لايجوز إرغام أية نصرانية تزوجت من أحد

المسلمين واعتنقت الدين الإسلامى ، على العودة إلى النصرانية إلا طائعة .

– إذا سبق لنصرانى ، ذكرًا كان أم أنثى ، اعتناق الديانة الإسلامية قبل إبرام هذه الاتفاقية ، فلا يحق لأحد من النصارى أن يهدده أو ينال منه بأية صورة ، ومن يفعل ذلك يلق أثامًا .

(يتحرك أبو عبد الله)

أبو عبد الله : البنود كثيرة فى هذه الاتفاقية . . وبإمكانكم الاطلاع عليها حتى نستعد للتوقيع .

(ثم ينادى)

أبو عبد الله : القائد أبو القاسم المليح .

(يدخل رجلٌ حاملاً بعض الأوراق فى يده فيتحرك الملك)

المـــــلك : تعال معى .

(ويدخل الاثنان إلى المختصر)

(أحد الوجهاء يقترب)

الوجيه (١) : أبو الغسان : ما هذه الأوراق .

الوجيه (٢) : هذه معاهدة أخرى فى غاية من السرية ملحقة

بهذه الاتفاقية ، وتتضمن الحقوق والواجبات والالتزامات والامتيازات التى أعطيت لأبى عبد الله ملك غرناطة وأفراد أسرته وحاشيته .

أبو الغسان : هل مسموح لنا الاطلاع عليها ؟

الوجيه (٢) : لا غير مسموح .

الوجيه (٣) : ماذا تتوقع أن يكون بها ؟

الوجيه (٢) : الله أعلم بما فيها .

(إظلام)

المشهد الرابع

(يرجع النور فورًا على منظر مكان توقيع الاتفاقية ، طاولة وعليها الاتفاقية قريبة من الجمهور وكرسى لأبى عبد الله وآخر للملك فرديناند وثالث للملكة إيسابيلا . أما على جانبى المسرح فتوجد كراس للمسئولين من كلا الطرفين)

(يدخل المسئولون إلى المسرح ويأخذون أماكنهم)

(منادٍ من الكواليس)

المنادى : الملك أبو عبد الله الصغير ملك غرناطة

(يدخل أبو عبد الله من نهاية جهة اليمين ، ويقف فى وسط المسرح أقرب إلى اليمين)

(منادٍ من الكواليس)

المنادى : الملك فرديناند ملك إسبانيا والملكة إيسابيلا ملكة إسبانيا .

(يدخل الاثنان من آخر جهة اليسار ، ويقفان فى وسط المسرح أقرب إلى اليسار) .

(مناد من الكواليس)

المنادى : راعى عملية السلام ، صاحب روما .

(يدخل بابا روما من الجهة الخلفية للمسرح ويقف بين أبى عبد الله والملك فرديناند ، ويمشى الجميع مع الملكة إلى الطاولة ، والبابا يرفع يديه إلى ظهرى الملكين وكأنه يرعاهما)

(يجلس الملك والملكة الإسبانيان وأبو عبد الله على الكرسى ، وتبدأ مراسم التوقيع ، والبابا يحيطهم بكلتا يديه ، والحضور يصفق)

الهاتف : وقِّع .. لا توقِّع ..

القوة فوق القانون .

النصوص منمقة .. والوعود سخية ..

وقِّع ..

والاحتيال على الكلمات وارد ..

لا توقِّع ..

النوايا مُبيَّتة ..

وقِّع ..

لا توقع ..

وقع ..

(يتم التوقيع بين الطرفين . ثم يقومان بتسليم الوثائق بعضهما لبعض . ثم يتصافحان . ثم ينسحبان ، كل إلى جهته)

(فرديناند يسلم الوثائق إلى قس من القسس ضمن حاشيته ، ويهمس فى أذنه)

القـــــس : ماذا تنتظرون أيها السادة ؟
المفاتيح ! أسرعوا بتسليم المفاتيح . .

(حاملاً المفاتيح على الوسائد يتجهان إلى فرديناند فيأخذ المفاتيح)

(هنا ينفجر أحد الوجهاء العرب – الوجيه ٣ – بالبكاء الشديد ، ويخرج مسرعًا وهو يردد)

الوجيه (٣) : لا حول ولاقوة إلا بالله

(يكررها عدة مرات)

(فرديناند يلوح بالمفاتيح منتصرًا ، وهى ترن بيده ، يقبّلها ، ثم يناولها لإيسابيلا)

(يتحرك القس ، ثم بعد نظرةٍ من فرديناند)

القـــــس : هيا أيها السادة ماذا تنتظرون ؟
اخرجوا من هذا المكان . فمن لا مفاتيح له لا مكان له !

(تعتيم على الشخصيات)

المشهد الخامس

(تعود إضاءة الستارة الخلفية)

(تجرى عملية مطاردة عنيفة وشديدة مع الموسيقى والهرج والصهيل والصرخات)

(إظلام)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(فى حجرة نوم أبى عبد الله : وهو يجمع حاجياته . . تدخل والدته ، فتسأله)

والدة أبى عبد الله : إلى أين إن شاء الله ؟

أبو عبد الله : إلى المغرب .

الـــــوالدة : إلى المغرب ؟

هكذا تترك ملكك وملك أجدادك وتراث العرب والمسلمين وتنهزم .

أبو عبد الله : ليس فى اليد حيلة ، والأخطار تحيق بنا .

الـــــوالدة : كان عليك أن تدرك بأن الأخطار التى تهدد ملكًا من عدو لا يرحم ، وهو قابع بين أسوار قصره المنيع ، لهى أكبر وأخطر مما يتعرض له هذا الملك من أخطار لو كان فى خيمته الحربية فى ميدان القتال .

لا حول ولا قوة إلا بالله .

انظرنى . .

أنا عائشة الحرة . .

أنا ملكة ، وزوجة ملك ، وأم ملك . .

أنا امرأة حرة ، عزيزة قومى ، وقومى أعز أمتى . .

وأمتى أعز وخير أمةٍ أخرجت للناس . .

انظرنى . .

ماذا ترانى الآن ؟

غير امرأة ضائعة محطمة . .

مستعدة لرحيل المنافى . .

أبو عبد الله : ماذا كان فى استطاعتى أن أعمله ولم أعمله ؟

الوالــــدة : حولك العرب ، جميع العرب ، أرسلوا لك الوفود ، ولكنك فى غفلة من الجميع ، وبسريةٍ تامة تجتمع مع زافرة ، وترتب الأمور لوحدك ، وتتفق مع الأعداء ، وتخاصم المخلصين ، وتُسلم أسلحتك . ماذا بقى لديك لم تسلمه إلى الأعداء ؟!

الوالــــدة : إذًا ابك ، مثل النساء ، مُلكًا مضيعًا . . لم تحافظ عليه . . مثل الرجال .

(إظلام)

المشهد الثانى

(بعد رحيل أبى عبد الله من غرناطة)

هـــاتف : وتمر السنون على غرناطة ثقيلة تئن تحتها المدينة .

(مجموعة من رجال المقاومة المتخفين ينتظرون قدوم سيدة البشرات ، حتى إذا ماوصلت تلفتت حولها ، فإذا رأتهم تفحصتهم ، ثم بدأت تذكر أسماءهم)

سيدة البشرات : أحمد . . . محمد . . . عبد الله . . . مرحبًا برجال المقاومة .

(أحد رجال المقاومة ، وهو يكشف اللثام عن وجهه)

أحمــد : كيف عرفتنى يا سيدة البشرات ؟

سيدة البشرات : سيدة البشرات ؟ ألقبتمونى بهذا الاسم ؟

محمــد : نعم ، لما قمت به فى معركة البشرات .

سيدة البشرات : لى الشرف أن أحمل اسم « البشرات » . . . إنها أكبر معركة بيننا وبين العدو ، تكبد فيها خسائر كبيرة فى الأرواح .

عبـــــــد الله : و الله ليتخيل الواحد منا فى تلك المعركة وكأنه جيش جرار ، وأنت يا سيدة البشرات لقد قمت بدور عظيم .

أحمـــــــــد : وكذلك السيدات المناضلات الأخريات .

سيدة البشرات : لقد كدت أنسى ما أحضرته لكم من سلاح ، لقد خبأته هاهنا .

(تذهب سيدة البشرات لإحضار السلاح .. وهو عبارة عن بنادق من الطراز القديم ، وسيوف تخرجها من اللفة ومن ضمن السلاح سكين .. تسلمهم السلاح ، وهى تقول ، بعد أن التقطت السكين وخبأتها)

سيدة البشرات : سأحتفظ بهذه السكين لأدافع بها عن نفسى .

محمـــــــــد : خذى بندقية أو سيفًا .

سيدة البشرات : لا . . . لا أحد سيشك بأمر هذه السكين . إنهم يبحثون عن رجال المقاومة بالمال والتهديد والتعذيب.

عبـــــــد الله : وهل سيقوى جسمك على التعذيب ؟! أو أنك ستفشين أسرارنا ؟!

سيدة البشرات : والله لو قطعونى إربًا لن أفشى سركم .

(تسمع أصوات جنود قادمين)

سيدة البشرات : اهربوا قبل أن يصلوا إلى هنا .

رجال المقاومة : مع السلامة يا سيدة البشرات .

(سيدة البشرات . بصوت فيه شىء من الحزن)

سيدة البشرات : مع السلامة يا أعز الرجال . . .

مع السلامة يا أطهر الرجال .

(تختفى سيدة البشرات)

(إظلام)

المشهد الثالث

(إضاءة)

(يدخل القائد الإسبانى وبرفقته أحد الضباط .. بينما ينتشر بعض الجنود حول المكان يفتشون)

(الضابط يخاطب القائد)

الضابـــــط : ألم تستطيعوا كشف أسماء هؤلاء المجرمين ؟

القـــــائد : لم نتوصل بعد لمعرفة أى واحد منهم ، ولكن علمنا أن سرّهم لدى سيدة واحدة .. إذا ألقينا عليها القبض تنتهى المقاومة .

الضابـــــط : لماذا لا تلقون عليها القبض إذن ؟

القـــــائد : لقد وصلتنا الأخبار قبل قليل ، ونحن الآن فى طريقنا إلى داخل المدينة لإلقاء القبض عليها .

(يُسمع صوت امرأة وهى تصرخ فى الجنود قبل أن تحضر إلى الخشبة)

سيدة البشرات : أيها المجرمون اتركونى ...

اتركونى . . .

اتركونى . . .

(بينما الجنديان يشدانها واحدٌ من يدها والآخر من شعرها ، ويحضرانها إلى الخشبة قريبة من الجمهور . . . وهى تصيح)

سيدة البشرات : اتركونى . . . اتركونى . . .

أحـــد الجنود : سيدى وجدناها مختبئة خلف تلك الشجرة .

القائـــــــــد : آه ، لابد أنك أنت السيدة التى أخبرونى عنها ، . . . المواصفات نفسها التى حصلنا عليها تنطبق عليها . . . أيها الجنود . . .

خذوها وعذبوها حتى تبوح بأماكن رجال المقاومة وأسمائهم .

(الجنود يجرجرونها خارج الخشبة)

(تعتيم)

(تُسمع أصوات سياط ، وسيدة البشرات تصرخ . . .)

(تعود الإضاءة تدريجيا)

(القائد يتمشى على خشبة المسرح .. يدخل جندى)

الجنــــــدى : سيدى إنها تقول أنها ستعترف .

القــــــائد : أحضرها بسرعة .

(الجنود يحضرون سيدة البشرات وهى تئن من الإعياء ، ويداها موثوقتان)

القــــــائد : ستعترفين ؟؟

اعترفى ، ولن ينالك أذى .. ها .. هيا ، اعترفى .

سيدة البشرات : مُرهم أن يحلوا وثاقى ، سأعترف ... سأقول لكم كل شىء .

(يفك الجندى وثاقها)

(تقوم سيدة البشرات وكأنها ترتب ثيابها ، وإذا بها تخرج سكينًا وتتقدم ناحية الجمهور وتقطع لسانها وتقذفه فى وجه القائد ، فيتصبب الدم من فمها ، وأصوات تصاحب ذلك المنظر ، وهى كالمجنونة تدور على الخشبة فاغرة فاها ، والدم يتصبب منه ، وهى تصيح بصوت الأبكم)

القــــــائد : أبعدها عنى .

(هنا يحضر القسيس ويشاهد سيدة البشرات وهى تصرخ فى وجه القائد)

(القسيس - مخاطبًا القائد -)

القـــــسيس : ما هذا ؟

القــائد : قطعت لسانها حتى لا تفشى أسرار المقاومة .

سأجعلك يا غرناطة عبرة لكل المسلمين

سأقتلكم . . . سأحرقكم . . . ولن أترك فيك

واحدًا من المسلمين .

القسيس : هذا حرام . . . قتل بدون سبب .

القــائد : لدى ألف سبب وسبب .

أيها الجنود . .

ادخلوا غرناطة وأحضروا إلى هنا كل من

تصادفونه .

(يهرول الجنود إلى خارج خشبة المسرح)

القسيس : أنا حضرت إلى هنا لأقيم محاكم التفتيش ،

ومعى كل الأحكام التى بها تستطيع أن تعاقب

المسلمين .

(يحضر الجنود ومعهم شخص مسلم)

(يقول أحدهم)

الجندى : سيدى ، وجدنا هذا . . . . . .

(إظلام تدريجى)

المشهد الرابع

(إضاءة الستارة الخلفية تكشف عن مسيرة المسلمين المكبَّلين بالسلاسل والقيود .. والجنود الإسبان يقودونهم)

(الإضاءة على صاحب القضية والشاهد)

صاحب القضية: ما هذا ؟! من هؤلاء ؟!

الشـــــــاهد : هؤلاء أهل غرناطة المسلمون ، فقد طاردتهم محاكم التفتيش ، و قتلت منهم المئات ، بل الآلاف ، مما جعل الجبال تسمى بالجبال الحمراء لكثرة الدماء التى سفحت عليها ، لقد كان شعار محاكم التفتيش « مسلم ميت خير من مسلم حى » .

الشـــــــاهد : وقد صدقت نبوءة شاعر الأندلس أبى البقاء صالح بن شريف الرندى :

بالأمس كانوا ملوكًا فى منازلهم
واليوم هم فى بلادِ الكفرِ عبدانُ
تراهم حيرى لا دليلَ لهم
عليهمو من ثيابِ الذلِ ألوانُ

(إظلام)

المشهد الخامس

الهــاتف : وبعد بضع سنين تقام محاكم التفتيش

(تفتح الستارة على مجموعة من المسلمين : بعضهم يتجمهر ، وآخرون يقادون إلى قاضٍ وقسيس ليحاكموا)

(العسكرى يقدِّم مسلمًا وهو يقول)

العسكرى : سمعنا هذا الشخص يقول إن الإسلام هو الأحسن ، وإن عيسى نبى الله وليس إلهًا .

(القاضى بعد أن يتشاور مع القسيس ويهز رأسه بالموافقة)

القــاضى : حكمنا عليه بالحرق ، وهو حى .. خذوه .

(المسلم وهو يصيح)

المســلم : أين المواثيق ؟! أين اتفاقية السلام ؟!

أين المواثيق ؟! أين اتفاقية السلام ؟!

(ويختفى صوته وهو يجرى إلى خارج المسرح .. والقاضى والقسيس يقهقهان)

(العسكرى يقدِّم رجلًا آخر وهو يقول)

العسكرى : وجدنا هذا الرجل قد ختن أولاده وأسماهم بالأسماء الإسلامية .

(القاضى بعد التَشاور مع القسيس يصدر الحكم)

القـــــاضى : إعدام !

يعدم بإدخال الأسياخ المحمية فى جسده .

(فيصيح المسلم)

المســــلم : بماذا أذنبت ؟

اتقوا الله ! بيننا وبينكم مواثيق ومعاهدات . بيننا وبينكم مواثيق ومعاهدات . . بيننا وبينكم مواثيق ومعاهدات . .

(ويختفى صوته وهو يُجَرُّ إلى خارِج . . المسرح . . والقاضى والقسيس يقهقهان)

(العسكرى يقدم شيخًا مسلمًا وهو يقول)

العسكـــرى : وجدنا هذا الشخص يصوم رمضان .

(القاضى وهو يتشاور مع القسيس)

القـــاضى : إعدام . . إعدام .

ويتم إعدامه بسحق عظامه من قمة الرأس حتى أخمص القدم بالضاغطة الخشبية الغليظة .

الشيخ المسلم : تريدون بالبطش وبالقتل إفناء حرمة المسلمين ؟!

تريدون المسلمين أذلة صاغرين لتجعلوا من دارهم دار كفر لا يجرؤ مسلم أن يرفع فيها أذانًا ، أو يقيم صلاةً ، أو يجهر بكلمة التوحيد . أو يصوم رمضان ؟!

أنتم تصومون رمضان كذلك ، فهل الصيام ذنب أستحق عليه الإعدام ؟!

القاضى : لتخرجوا من هذا البلد . .

المسلم : دعنى أرحل . . ولن أعود إلى هذا البلد .

القاضى : لا إنك ستكون عبرةً لغيرك !

لتخرجواجميعًا من هذه الأرض .

المسلم : لن تستطيعوا اقتلاعنا من هذه الأرض ، وحتى لو اجتثت قاماتنا ستنبت ثانية ، لن نترك أرضنا .

(يخرج القاضى والقسيس ويبقى المتجمهرون)

(أحدهم يصيح)

أول : لقد مزقوا القرآن . .

ثان : لقد هدموا المساجد .

ثالث : لا ، حولوها إلى كنائس .

رابع : نُهبت أموالنا .

خامس : هُتكت أعراضنا .

سادس : يُتمت أطفالنا .

الجميع : الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر ..

الشيخ المسلم : أيها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها .
إن نبيكم يُهان .. وقرآنكم يُداس ..

المسلم (٤) : يا أمة محمد .. يا أمة محمد ..

المسلم (٣) : واإسلاماه .. واإسلاماه .. واإسلاماه .

(تدخل مجموعة من العساكر ، وبأيديهم سياط وتطرد المسلمين ، لكنهم يدورون فى المسرح ، ويرجعون كل واحد يحمل صُرة ، والعسكر يسوقونهم وهم يصيحون)

العساكر : اخرجوا من هذه الأرض .

(المسلمون فى حركة دائرية فى المسرح ، والعسكر من خلفهم ، وينشدون)

المسلمون : عائدون .. عائدون .. عائدون .. إننا لعائدون ..

(الستارة تغلق)

المشهد السادس

(يخرج صاحب القضية ، وهو ينادى صاعدًا
من الصالة إلى الخشبة)

صاحب القضية : انتظر . . انتظر . .القضية . أين القضية ؟

(يمسك بالكتاب الكبير)

الشـــــاهد : أية قضية ؟

صاحب القضية : قضيتى أنا .

الشـــــاهد : قضيتك ليست هنا . .

(يشير إلى الكتاب . .)

صاحب القضية : أين هى إذن ؟

(يشير إلى رأس صاحب القضية . .)

الشـــــاهد : قضيتك هنا . . هنا . .

صاحب القضية : (مفكرًا) هنا ؟!

الشـــــاهد : نعم ، قل لى هل قرأت التاريخ ؟

صاحب القضية : نعم ، الآن قرأته إذ شاهدته .

الشـــــاهد : هل فهمت التاريخ ؟

صاحب القضية : نعم . . نعم .

الشــــــاهد : اعمل به ستكسب قضيتك !

هل فهمت ؟!

صاحب القضية : نعم فهمت .

الشاهد على التاريخ : إذن .. عائدون .. عائدون .

صاحب القضية : بإذن الله عائدون .. عائدون ..

(وتخرج الأنشودة من أفواه الجميع)

الجميـــــــع : عائدون .. عائدون ..

(ينشد معهما الممثلون .. وهم يطلبون من الجمهور المشاركة فى النشيد)

الجمـــــيع : عائدون .. عائدون ..

(ستار)

ختام

الـواقعُ
صُورةٌ طِبقُ الأصلِ

لقد مرت بالأمة الإسلامية فترات أشد قسوة مما نحن فيه ، فلتكن هذه المسرحية دافعًا لعدم اليأس ، وحافزًا نحو التوحيد والنضال . . .

د. سلطان بن محمد القاسمى

الشخصيات المسرحيات
(حسب الظهور)

الفصل الأول : المشهد الأول

- هاتف
- بطرس الناسك
- المضيف
- اثنان من المغاربة :
  علي ، أحمد
- الشيخ محمد
- الرجل الأول
- الرجل الثاني
- مساعد البطريرك شمعون
- صوت أذان
- البطريرك شمعون .

الفصل الأول : المشهد الثاني

- هاتف
- البابا أوربان الثاني
- القسيس
- بطرس
- القسيس الآخر
- قادة وأمراء
- جموع من الرجال والشيوخ والنساء والصبية والأطفال :
  - المجموعة الأولى
  - المجموعة الثانية
  - المجموعة الثالثة
  - المجموعة الرابعة
- « حمار أعرج »
- الجموع

الفصل الثاني : المشهد الأول

- هاتف (١)
- مجموعة من الجنود : أحد الجنود

- مجموعة المسلمين	- الشيخ محمد
- هاتف (٢)	- جندى آخر
- أبو سعد الهروى (قاضى قضاة دمشق)	- الشخص
- بعض الوجهاء	- المستظهر بالله
- سليمان	- الوجيه
- بطرس	- أحد اللاجئين الفلسطينيين
	- الجند العباسيون

الفصل الثانى : المشهد الثانى

- هاتف	- الحاجب
- المستعلى بالله	- الأفضل (أفضل الجمالى)
- القسيس	- الطفل
- أحد الوجهاء	- أحد الوجهاء
- الطبيب	- المواطنون
- الوجهاء	- الجنود

الفصل الثانى : المشهدالثالث

- هاتف	- مجموعة الخدم
- الخطيب	- مجموعة المصلين : أحد المصلين
- ابن الخشاب القاضى	- المصلى الآخر
- مجموعة الحلبيين	- الخليفة : أمير المؤمنين
- الحرس	- السلطان محمد

الفصل الثانى : المشهد الرابع

- جنود	- هاتف

-ابن الخشاب
- الحلبى
- الرجل
- شخص (القاتل)
- المجموعة الأولى
- المجموعة الثانية

الفصل الثالث : المشهد الأول

- هاتف
- شبان مقدسيون : إبراهيم
عيسى
-هاتف
- باليان
مجموعة الجنود الصليبيين :
أحد الجنود
- صلاح الدين
- مجموعة قادة صلاح الدين
- قائد المجموعة
- جنود صلاح الدين
- مجموعة الجنود
- البطريرك اللاتينى ايراكلوس
- أحد القادة
- الفتاة الفرنسية
- صوت أذان

الفصل الثالث : المشهد الثانى

- هاتف ١
- إبراهيم (كهلاً)
- عيسى (كهلاً)
- المنادى
- شمس الدين - قاضى نابلس
- الإمبراطور
- حاشية الإمبراطور
- المجموعة : أهالى القدس
- أحدهم (من الأهالى)
- أصوات أذان
- هاتف ٢
- جنود الفرنجة
- المجموعة المسيحية الأولى
- المجموعة الثانية (الفرسان)
- المجموعة الثالثة (النبلاء)

الفصل الثالث - المشهد الثالث

- هاتف
- الرجل المسن (١)
- الرجل المسن (٢)
- المسلمون الخوارزمية :
  مجموعة الرجال (١)
  مجموعة الرجال (٢)
- قائد مجموعة الرجال (١)
- قائد مجموعة الرجال (٢)
- أهالى القدس
- جنود الفرنجة :
  واحد من الفرنجة
  آخر
  ثالث

الفصل الأول

المشهد الأول

(ترفع الستار)

هـــــاتف : مدينة القدس عام ٤٨٦ هـ الموافق ١٠٩٣ م .

(إلى يمين المسرح علقت لوحة كتب عليها « حارة المغاربة » ، وإلى اليسار بيت عُلِّقت على بابه لوحة « بطريرك مدينة القدس »، ويظهر بيت المقدس من خلال سكة فى وسط المسرح .

يدخل إلى المسرح رجلان ، أحدهما بطرس الناسك ، مسيحى ، رجل ضئيل ، قصير ، داكن اللون بوجه قبيح يشبه وجه الحمار ، يسير حافى القدمين وقد ارتدى ملابس رثة . والآخر المضيف لبطرس ، وهو يهودى بشعر يتدلى على طرفى وجهه . عند مشاهدة باب مقر البطريرك يهم بطرس بطرق الباب ، لكن المضيف يمنعه قائلا)

المضيف : انتظر . . بعد قليل يأتى أحد مساعدى البطريرك . . فلنجلس هنا .

(يجلس الاثنان بالقرب من الباب)

بطـــرس : أتعبتك معى .

المضيف : يا بطرس ، لقد استضفتك فى بيتى وأسكنتك معى ، وسألتنى عن كل شىء مما يخص المسيحيين أو غيرهم ، ولكنك لم تجبنى عندما سألتك عما تنوى القيام به ، وفى كل مرة تقول لى فيما بعد . لقد زرت جميع الكنائس وقمت بتحرياتك الخاصة كما تسميها . . الآن أرى إلحاحك على مقابلة شمعون بطريرك مدينة القدس ، إنه رجل ورع يخشى الرب ، فماذا تريد منه ؟

بطـــرس : رغبت بالتداول معه والحديث حول الظروف القائمة فى القدس ، وآمل أن أحصل منه على رسالة يستنجد فيها بملوك وأمراء الغرب .

المضيف : أنا يهودى ، لكن فى قرارة نفسى أعترف بالمسيح .

بطـــرس : أنا أتبع البابا « أوربان الثانى » ، فهو أصله يهودى اعتنق المسيحية ، وهو مضاد للبابا « كليمنت الثالث » فى روما .

المضيف : إن شمعون بطريرك مدينة القدس يرتبط برابطة القرابة والجوار مع كنيسة روما ، فأرجوك ألا تذكر لشمعون البطريرك أنك قادم من طرف « أوربان الثانى » . . . أنا سأتركك الآن لقضاء بعض الحاجات .

(يدخل اثنان من المغاربة إلى المسرح وقد أنهكهما التعب . وبطرس قابع بالقرب من باب البطريرك يتنصت على المحادثة)

أحمد :**(وهو يشير إلى لوحة « حارة المغاربة »** هذه هى الحارة .

على : **(وهو يتبع زميله أحمد)** تعبنا يا أحمد ونحن نسأل عن حارة المغاربة حتى وصلنا إليها . دعنا نستريح قيلا . . إننى لا أقوى على المشى .

(يضع المغربيان عفشهما قريبا من لوحة حارة المغاربة . . يدخل رجل وقور ويسلم عليهما وهو يقدم نفسه)

الرجل : أنا الشيخ محمد متعهد المغاربة زوار بيت المقدس ، وأنتما ؟

أحمد : أنا أحمد من المغرب ، وهذا رفيق سفرى من تونس .

الشيخ محمد : كيف أحوال المسلمين فى المغرب ؟

أحمـــــد : نحن فى المغرب ولله الحمد فى عزة وانتصارات دائمة . يوسف بن تاشفين عبر إلى الأندلس بخمسة وعشرين ألف مقاتل ، وانضم إليه ملوك الطوائف بخمسة وعشرين ألف مقاتل ، والتقت تلك القوات مع قوات الفونسو ملك قشتالة . . وانتصر المسلمون فى معركة الزلاقة .

عـــلى : يا شيخ محمد . . كيف حال المسلمين فى المشرق ؟

الشيخ محمد : عندنا الحال لا يسر . . نحن نعيش فى حالة من الفوضى السياسية والاقتصادية والعقائدية . . عندنا خلافتان . . واحدة فى بغداد ، والثانية فى القاهرة ، وهما فى صراع دائم . . والأحوال الداخلية سيئة . . والخلفاء محكوم عليهم من قبل الجند . . يقاتلون من أجل الفتن والاستغلال والتسلط وليس للدفاع عن شعوبهم ضد الظلم والعدوان الخارجى .

أحمـــــد : لماذا لا يتقدم الحكماء من المسلمين لإصلاح ذات البين بين الخلافتين ؟

(هنا يدخل رجلان فى عجلة يبحثان ، يحمل واحد منهما عصا غليظة)

الرجل الأول : إنه لم يزل هنا .. ولم يبتعد عن هذا المكان !

الرجل الثانى : ها هو مختبئ ؟!

الرجل الأول : هذا هو الذى كان يتجسس علينا ... أكنت تتجسس علينا ؟

(يرفع الرجل الثانى عصاه لضرب بطرس .. فيهرب بطرس ويختبئ خلف الشيخ محمد)

بطـــــرس : احمنى يا شيخ !!

الـــــرجل : اتركه يا شيخ محمد ..

الشيخ محمد : إنه فى حمايتى ، ابعدا عنه ، إنه فى حمايتى وقد استجار بى .

(لكن العصا تنزل على رأس الشيخ محمد فتدمى جبهته)

(على وأحمد يصيحان)

عـــــلى : ماذا فعلت ؟!

أحمـــــد : أمسكه ولا تدعه يهرب .

عـلى وأحمد : قف ، توقف ..

(يهرب المعتديان .. يخرج مساعد البطريرك) ..

مساعد البطريرك : « وهو يتساءل » ما هذه الضجة ؟

(يلتفت إلى الشيخ محمد وهو منزعج للدم الذى يسيل من جبهته)

مساعد البطريرك : يا شيخ محمد .. دعنى أداويك وأضمد جرحك ..

(ثم يهرول إلى داخل مقر البطريرك ويأتى بقنينة بها دواء ، فيضمد جرح الشيخ .. ثم يلتفت ناحية بطرس متسائلا)

مساعد البطريرك : من هذا ؟

بطـــــــرس : أنا بطرس الناسك ، جئت من بلاد الفرنجة للصلاة والعبادة في القدس ..

مساعد البطريرك : ماذا تريد من جلوسك هنا ؟

بطـــــــرس : أريد مقابلة البطريرك .

مساعد البطريرك : انتظر قليلا ..

(الشيخ محمد يشكر مساعد شمعون إذ يهم بالمغادرة قائلا)

الشيخ محمد : أشكرك على مداواتى .. بلغ سلامى للبطريرك شمعون .. هيا بنا أيها الأخوان .

(يخرج الشيخ محمد ومعه المغربيان . يدخل

مساعد شمعون لمقر البطريرك ، ثم يخرج وهو يقول لبطرس الذى ظل بالخارج ينتظر)

مساعد البطريرك : تفضل لتقابل البطريرك شمعون .

(يدخل بطرس ومعه مساعد البطريرك شمعون إلى داخل مقر البطريرك .

هنا يسمع صوت أذان ينبعث من بيت المقدس ، فيهرع الناس للصلاة شيبا وشبابا وصبية ونساء ، يمرون على خشبة المسرح من الجهتين ، ويدخلون فى الطريق المؤدية إلى بيت المقدس . .

حتى إذا ما انتهى الأذان يفتح باب مقر البطريرك ويخرج البطريرك شمعون ومعه مساعده وبطرس)

البطريـــــرك : إنك رجل حكيم يا بطرس . . وصاحب خبرة متنوعة فى مسائل عديدة وذو قدرة على الإقناع بالقول والفعل .

بطـــــــرس : أيها البطريرك المبجل . . لم أستطع كبح دموعى وأنت تصف حالة شعب الله الذى سكن القدس ، وعندما أتذكر كلماتك تنهمر دموعى . .

(أخذ بطرس يبكى ، وشمعون يربت على كتفه ، ويلتفت بطرس إلى شمعون مستوضحا بجدية أكثر)

بطـــــــرس : ما هى إمكانية إيجاد طريقة للتخلص من المصاعب التى أحدقت بكم ؟

شـــــمعون : يا بطرس ، إن الرب الرؤوف الرحيم لن يرحمنا بسبب الآثام التى تكبلنا حيث إن خطايانا لم تمح بعد . .

بطـــــــرس : اعلم أيها الأب المقدس أنه لو كان لدى الكنيسة فى روما والملوك فى الغرب أى مخبر حذر وموثوق به يخبرهم بالمصائب التى تكابدونها لكانوا سيحاولون حتما تقديم العلاج بالقول والفعل لمصاعبكم هذه . . ولذلك اكتب أنت إلى البابا العظيم وإلى الكنيسة فى روما ، واكتب أيضا إلى ملوك وأمراء الغرب ، وصادق على الرسالة بخاتم سلطانك الكهنوتى . . وسأقوم أنا بهذه المهمة . . وبثقتى بالرب إننى على استعداد لزيارة الجميع والتوسل إليهم ، وأن أدلى

بشهادتى حول مصائبكم المفجعة بكل اجتهاد ،
ولسوف أدعو الجميع دونما تأخير لتقديم
العلاج .

(بدا السرور على شمعون ومساعده . وقال
شمعون لبطرس)

شمعـــــون : سأكتب الرسالة **(ويلتفت شمعون لمساعده**
قائلا) أحضر لى ورقة وقلما ومحبرة . يدخل
مساعد شمعون إلى مقر البطريرك لإحضار
ما طلب منه .

شمعـــــون : « **لبطرس** » أشكرك لتعاطفك معنا . . ليحمك
الرب .

بطـــــرس : أنا خادم الرب . . إننى من أجل مداواة روحى
لن أتوانى عن الاضطلاع بهذه المهمة .

(يعود مساعد شمعون ومعه أدوات الكتابة .
شمعون يقوم بكتابة الرسالة ويوقعها ، ثم يقوم
بإخراج الخاتم الكهنوتى من جيبه ويحبّره
بالمختمة ويختم الرسالة)

البطريرك شمعون: خذ يا بطرس . . ها هى الرسالة التى
طلبتها . .

بطـــــــرس : « **للبطريرك شمعون** » أشكرك جزيل الشكر أيها البطريرك المبجل .

(يدخل البطريرك ومساعده مقر البطريرك .

يبقى بطرس لوحده على المسرح فرحا . . يدور حول نفسه وهو يصيح ويلوح بالرسالة . .)

بطـــــــرس : حصلت على الرسالة يا اوربان . . سآتيك ومعي الرسالة يا اوربان . .

(وهو يدور يلتفت لبيت المقدس ، وبصوت تهديد رافعا سبابته ، يبدأ بالصراخ)

بطـــــــرس : سأعود إليك يا قدس . . لتطهير الأماكن المقدسة . .

سأعود إليك يا قدس . . لتطهير الأماكن المقدسة . .

(إظلام تام)

أصوات نواقيس وترانيم كنسية

المشهد الثانى

تسمع ترانيم كنسية

هـــــاتف : المجمع الكنسى فى كليرمونت من وراء جبال الألب عام ١٠٩٥م . .

(يجلس البابا اوربان الثانى على كرسى ، وأمامه طاولة وفى يده الأوراق الملفوفة ، وهو رجل جذَّاب طويل القامة ، طلق المحيا ، تزيِّن وجهه لحية جميلة ، شديد الدماثة فى خلقه ، يدخل عليه قسيس وهو يقول)

القـــــسيس : الشكر للرب . . لقد عدت أيها البابا . . لقد كنت خائفا عليك من بطش الإمبراطور الرومانى وأنت ذاهب إلى جنوب إيطاليا لملاقاة بطرس وهو عائد من القدس . .

البابا اوربان : لقد كنت فى ضيق حتى وصلت مدينة بارى فى جنوب إيطاليا . . وهناك قابلت بطرس وسلمنى هذه الرسالة . . **(ويرفع يده بلفافة الورق التى يحملها)**

القـــــسيس : وأين بطرس الآن ؟

البابا اوربان : لقد ذهب يدعو الناس لتحرير المدينة المقدسة .

القـــسيس : هل يمكننى أن أقرأ الرسالة ؟؟

البابا اوربان : تفضل واقرأها . . **(يناوله الرسالة الملفوفة)**

(القسيس يقرأ الرسالة بتمعن ثم يقول)

القـــسيس : هذه موجهة للبابا فى روما .

البابا اوربان : (**بغضب**) أنا البابا . . ولا يوجد بابا آخر . .

القـــسيس : لكن البابا فى روما كلمنت الثالث . .

البابا اوربان : من ؟ هذا غيوبرت التاجر . .

القـــسيس : لكنه معين من قبل الإمبراطور الرومانى . .

البابا اوربان : غدًا أتربع أنا على كرسى البابوية فى كنيسة روما .

(هنا يدخل بطرس ، يحيى البابا اوربان والقسيس ، ثم يدخل قسيس ، ثم يدخل قسيس آخر ويستأذن من البابا اوربان داعيا)

القسيس الآخر : المجمع الكنسى جاهز . . لقد حضر رؤساء الكنائس والأمراء . . تفضل . . قداسة البابا .

(يتقدم البابا اوربان وبطرس والقسيس . . ويجلسون على الكراسى المطلة على باحة الكنيسة . يقف البابا اوربان ، وبيده الصليب ،

وهو يقول)

البابا اوربان : يا رؤساء الكنائس .. أيها الأمراء .. إن إخواننا الذين يعيشون فى القدس فى محنة ، وإن كتابهم الذى أحضره باليد بطرس الرجل المبجل الموجود معنا .. ينطق بمحتوى هذه الرسالة ذاتها ..

(هنا يقف بطرس ويحيى المجتمعين بإيماءة من رأسه)

البابا اوربان : الرب أحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب .. أيها الأحبة ، سلحوا أنفسكم .. وشدوا أحزمة سيوفكم على أوساطكم .. اذهبوا ، وليكن الرب معكم .. أقول للمتهمين بالسرقات ، وإحراق البيوت عمدًا ، والسلب والنهب ، والقتل والجرائم الأخرى ذات الطبيعة المماثلة .. والذين لن يحوزوا بسببها على مملكة الرب : قدموا هذه الطاعة المرضية للرب بحيث يمكن لأعمال التقوى أن تحصّل لكم العفو عن آثامكم .

ليأت إلىّ الأمراء والقادة لأضع شارة

الصليب على أثوابهم كتعبير عن إيمانهم . .
وكرمز لحجّهم المُقبل .

(ينشغل البابا اوربان بوضع شارة الصليب على أثواب القادة والأمراء . فى جهة السيار من المسرح بطرس ينشغل بالجموع التى تدخل إلى المسرح من الجهة اليمنى للتطوع للقتال ، من بينهم النساء والصبية والشيوخ)

(تدخل مجموعة ، ويسألها بطرس)

بطـــــــرس : ماذا يريدون ؟

المجموعة الأولى : نريد أن نلحق بالركب كى لانترك أصدقاءنا .

(يدفعهم بطرس ناحية الركب ، إلى مخرج المسرح من الجانب الأيمن . مجموعة أخرى تدخل ، ويسألها بطرس)

بطـــــــرس : وأنتم ، ماذا تريدون ؟

المجموعة الثانية : نريدأن نلحق بالركب حتى لا يعتبرونا كفارًا . .

(يدفعهم بطرس ناحية الركب المجموعة الثالثة تدخل ، ويسألها بطرس)

بطـــــــرس : وأنتم ، ماذا تريدون ؟

المجموعة الثالثة : نريد أن نلحق بالركب لأننا مقيدون بعبء كبير من الديون .

(يدفعهم بطرس ناحية الركب . المجموعة الرابعة تدخل المسرح ، ويسألها بطرس)

بطـــــــرس : وأنتم ، ماذا تريدون ؟

المجموعة الرابعة : لا نعرف .

(يدفعهم بطرس ناحية الركب ، ويتبعهم هو بنفسه)

(يعود بطرس إلى خشبة المسرح ، من جهة اليمين حاملاً صليبًا كبيرًا وهو حافى القدمين .. يقود حمارًا أعرج .. وتتبعه الجموع من النساء والصبية والرجال ، ومنهم بعض الطاعنين فى السن وهو يتجه إلى الناحية اليسرى باكيًا نادبًا ناتفًا لحيته)

بطـــــــرس : إلى القدس .. الانتقام .. استردوا القبر المقدس ..

(والجموع تصيح وهى تتبعه)

الجـــــــموع : إلى القدس .. إلى القدس ..

(إظلام تام)

الفصل الثانى

المشهد الأول

(قبل رفع الستار)

هـــــاتف (١) : هلكت جموع بطرس الناسك . .

- جيوش الحملة الصليبية تزحف نحو القسطنطينية . .

- الصليبيون يجتاحون سورية الشمالية . .

- خليفة مصر يرسل سفراء إلى الصليبيين ، ويطلب عقد معاهدة معهم ، ويسعى إلى كسب ودهم . .

- الصليبيون يحتلون إنطاكية ، على نهر العاصى . .

- الصليبيون يزحفون إلى القدس . .

- حاكم طرابلس يرسل وفدًا لمباشرة مفاوضات السلام . .

- السلام بين طرابلس والصليبيين . .

- يوم الجمعة فى ٢٢ من شهر شعبان عام ٤٩٢ هـ ، الموافق ١٥ يوليو عام ١٠٩٩ م :
الصليبيون يحتلون القدس . .

(تفتح الستار على مجموعة من المسلمين تلطم وتولول وتندب . النساء ينثرن التراب على رءوسهن)

المجموعـــــة : احتلوا القدس ! القدس تحت رحمة المحتلين الفرنج . . . وإسلاماه . . وإسلاماه .

(تسدل الستار)

هـــــاتف (٢) : ديوان الخليفة المستظهر بالله ببغداد ، رمضان ٤٩٢ هـ الموافق أغسطس ١٠٩٩ م ، أى بعد شهر من احتلال القدس .

(ترفع الستار)

(يدخل القاضى أبو سعد الهروى ، قاضى قضاة دمشق ، حليق الرأس - علامة على الحداد ، حاسرًا ، ذا لحية كثة ، ومن خلفه حشد من الناس ، شبانًا وشيبًا ، يرددون بصخب كل كلمة من كلماته ويُبدون مثله التحدى . .

أبو سعد الهروى : أترضون بالمهانة ، أتقبلون بالذل ؟؟

(بعض وجهاء البلاد يحاولون تهدئته ،

ولكنه يزيحهم بحركة تنم عن ازدراء . يتقدم أبو سعد الهروى بعزم إلى وسط المسرح صائحا)

أبو سعد الهروى : أنا أبو سعد الهروى .. قاضى قضاة دمشق ومعى هؤلاء اللاجئون الفلسطينيون ، الذين وصلوا إلى دمشق حاملين المصحف العثمانى وهم القلة القليلة الناجية من أهل بيت المقدس ، وقد اصطحبتهم لينقلوا بأنفسهم وقائع المأساة التى عاشوا فصولها قبل شهر .

تعال يا سليمان ارو لهم ما حدث ..

سليمـــــــان : كان يوم جمعة الثانى والعشرين من الشهر الفائت . . وبعد حصار دام أربعين يوما دخلوا علينا ، بعد أن سقط الرجال المدافعون عن المدينة ، شاهرين سيوفهم وهم يجوبون الشوارع ، ذابحين الرجال والنساء والأطفال ، ناهبين البيوت ومخربين المساجد .

(هنا تفتح ستار خلفية لتظهر مدينة القدس والجنود يقتلون كل من لاقوه ، حتى إذا

خلت الشوارع يتجمع الجنود .. وأحدهم يقول)

أحد الجنود : لنحتفل بالنصر .

جندى آخر : انتظروا .. انتظروا ، سآتيكم بمن يجب أن نحتفل به .

(يذهب الجندى ويأتى ببطرس راكبًا حماره ، حاملًا بيده زجاجة نبيذ ، يشرب منها ويقول)

بطـــــرس : افرحوا ، واشربوا من هذا النبيذ .. مثلما شربتم من دمائهم هنا .

(تتحرك جثة كانت ملقاة على طرف المسرح . فيقوم أحد الجنود ويدحرجها بقدميه ويشاركه الآخر ، والجنود يقهقهون . ثم ما يلبث أن يجلس صاحب الجثة قبالة بطرس ؛ وإذا به الشيخ محمد متعهد المغاربة فى القدس ، وهو يقول)

الشيخ محمد : بطرس .. أنا شيخ محمد الذى دافع عنك عندما كنت فى القدس .. أنا الذى سال دمه لكى يحميك .. أنسيت بهذه السرعة ؟!

(ويشير بيده إلى علامة أثر الجرح الذى أصاب

جبهته وهو يدافع عن بطرس . .

بطـــــرس : شيخ محمد ها ها ها ها .

(بطرس يشرب من قنينة النبيذ ، وبعد أن يملأ فمه يمجُّهُ على وجه الشيخ محمد . . يتزاحم الجنود، ويصبون قنانى الخمر على الشيخ وهو يردد . .)

الشيخ محمد : أستغفر الله . . أستغفر الله . . أستغفر الله . .

(الجنود يتدافعون ، وكل واحد منهم يقول)

الجـــــنود : أنا أقتله . . أنا أقتله . . أنا أقتله . .

(يتقدم بطرس ويأخذ سيف أحد الجنود وكأنه يدافع عن الشيخ محمد وهو يقول)

بطـــــرس : لا لن يقتله أى واحد فيكم .

(يتوقف الجنود مستغربين ، ثم يقوم بطرس بطعن الشيخ محمد وهو يقول)

بطـــــرس : أنا الذى سأقتله بنفسى . . أنا الذى سأقتله بنفسى .

(يسقط الشيخ محمد ويتحلق الجنود حول جثته حاملين بطرس وهم يرقصون ويقهقهون . .)

(هنا يدخل شخص ثيابه ملطخة بالدماء التى

تسيل بين يديه ، ورجلاه مبللتان بالدماء حتى ركبتيه وهو يقهقه ويقول)

الشخــــــص : عندما انتهينا من قتل كل من كان بالدور والمساجد والشوارع من الرجال والنساء والأطفال وهم سبعون ألفًا .. اقتحمنا المسجد الأقصى ووجدنا فيه مجموعة تصلى فقتلناهم جميعًا ..
ها ها ها ها ..

(ينتاب جميع الحضور نشيج ونحيب والستارة الخلفية تسدل .. وهنا يتقدم أبو سعد الهروى وهو يصيح)

أبو سعد الهروى : ماذا أفعل بدموعكم بينما السيوف تقتل فى المسلمين ؟ ! لقد سافرت من دمشق إلى بغداد طوال ثلاثة أسابيع تحمّلنا التعب فى هذه الأيام من الصيف ، تحت أشعة الشمس المحرقة .. لاستدرار الشفقة ؛ فنحن قد جئنا لإخطار السلطات الإسلامية بالمصيبة التى حلَّت بالمؤمنين ، ومن أجل التدخل لإيقاف المجزرة . لم يسبق قط أن ذُلَّ المسلمون هذا الإذلال ..

(يتقدم الخليفة العباسى المستظهر بالله . . وهو شاب فى الثانية والعشرين من عمره . . أبيض البشرة قصير القامة مستدير الوجه ، مرحٌ حتى فى لحظات غضبه الشديد . . ويقول)

المستظهر بالله : إننى حزين لما جرى فى القدس ، وأتعاطف معكم ، لذلك قررت تكوين لجنة من ستة من أصحاب المناصب الرفيعة فى البلاط ، ونسميها لجنة الحكماء ، للتحقيق فى تلك الأحداث المفجعة .

(هنا يثور أبو سعد الهروى ، وهو يلتفت إلى أحد الوجهاء قائلًا)

أبو سعد الهروى : أين السلطان بركياروق ؟ خذونى إليه ليجهز جيشه لاستعادة بيت المقدس . .

الـــــــــوجيه : إن السلطان بروكياروق يقود معركة ضد أخيه محمد فى شمال فارس . .

أبو سعد الهروى : يا للمهزلة ، يا للمهزلة . . !!

أحـــد اللاجئين : سنذهب إلى مصر عند الخليفة الفاطمى المستعلى بالله .

أحـــد الوجهاء : أتفضِّلون الفاطمى على خليفة المسلمين العباسى المستظهرُ بالله ؟!

أمسكوهم .. حققوا معهم .. إنهم مشاغبون ومدسوسون .

(الجند العباسيون يدفعون بالهروى ومن معه بعنف إلى الخارج ..)

الهروى وجماعته : الله أكبر ، واإسلاماه .. واإسلاماه .. واإسلاماه ..

(يخرجون ..)

الهـــــــروى : لاحول ولاقوة بالله .. لا حول ولا قوة إلا بالله ..

(إظلام تام)

المشهد الثانى

هـــــاتف : ديوان الخليفة الفاطمى المستعلى بالله فى القاهرة ..

١٧ صفر سنة ٤٩٥ هـ الموافق ١٠ ديسمبرعام ١١٠١ م .

(الخليفة الفاطمى يجلس وحوله وجهاء القاهرة .. الحاجب يدخل ويقول)

الحــــاجب : القسيس مندوب المسيحيين فى القدس ..

(وهنا يدخل قسيس يحمل صليبًا ويصافح الخليفة فيجلسه إلى جواره ..)

القـــسيس : أيها الخليفة ، لقد جئنا لكى تخلّص القدس من هذا الاحتلال البغيض .. الذى قام به الفرنجة ضد الديار المقدسة .

المستعلى بالله : لقد حاولنا التفاهم مع ملك الإغريق ، فأخبرنا بأنه لا يمارس على الفرنجة أية رقابة ، وأن الذين احتلوا فلسطين يتصرفون لحسابهم الخاص ، ويسعون إلى إقامة دولتهم الخاصة

وإن ملك الإغريق ينكر عملهم ، ويتمسك
بشدة بحلفه معنا . .
كما تعلم سنعتمد على تحرير القدس عن طريق
الشام . . ولقد قام جيشنا باحتلال صور،
ولكن ما حال دون ذلك هو أن رضوان -
سلطان حلب - وقَع فى حرب مع أخيه دقاق -
سلطان دمشق - مما أضعف وضعنا هناك . .
لكننا نعدك بأننا سنقوم بتحرير القدس . .
(الخليفة يمسك صدره ويصرخ متألما . .)

القسيس : أستأذنك فى الخروج . .

المستعلى بالله : تفضل . .

(ويصرخ الخليفة متألما من جديد . .)
(يخرج القسيس)

(إظلام ثم إنارة)

هاتف : يتوعك الخليفة ويشتد عليه المرض . .

الحاجب : « **مناديا** » الطبيب . . الطبيب . . أحضرو الطبيب

**(يدخل الطبيب . . وبعد الفحص يلتفت
الطبيب للأعيان ، وقد بدا عليه الحزن قائلاً)**

الطـــــبيب : إن الخليفة قد مات !!

الـــــوجهاء : لا حول ولا قوة إلا بالله .. إنا لله وإنا إليه راجعون .. لا حول ولا قوة إلا بالله ..

(الوجهاء يخلعون جبة الخليفة وعمامته .. وينقلونه إلى داخل البيت .. تظل خشبة المسرح خالية للحظات ..)

(يدخل الحاجب)

الحـــاجب : « **مناديًا** » يا أفضل .. يا ابن الجمالى .. أمير الجيوش .. إن الخليفة قد مات ..

(يحصل اضطراب وأصوات تبين عن قدوم شخص مهم ..)

الأصـــوات : أفضل الجمالى .. أفضل الجمالى ..

(يدخل أفضل الجمالى حاملاً طفلاً عمره خمس سنوان ويضعه على كرسى الخلافة .. ويضع الجبة عليه ، ثم يضع العمامة على رأسه ..)

الـــــوجهاء : « **بصوت واحد** » ما هذا يا أفضل ؟

الأفضــــــل : هذا الخليفة أبو على المنصور ابن المرحوم المستعلى بالله ولقبته بالآمر بأحكام الله ..

(الولد يلعب بالاختفاء تحت الجبة والعمامة ..

والوجهاء ينظرون للطفل . . فينفجر بالبكاء . .)

أحد الوجهاء : كيف يحكم هذا الطفل دولة بها ستة ملايين من البشر تريد الزحف على العدو فى فلسطين ؟؟

الأفضـــــل : يحكم من خلالى . أنا سأسيِّر الأمور . .

أحد الوجهاء : أنت . . لماذا ؟؟

الأفضـــــل : أنا من حارب فى فلسطين . .

(ثم يلتفت مخاطبًا الناس)

الأفضـــــل : أيها المواطنون . . إن فلسطين تناديكم فهبوا للحرب . . هبوا لتخليصها من يد الغاشم المحتل . .

المـواطنون : « **يهتفون** » الجمالىّ . . الجمالى . . الجمالى . .

الأفضـــــل : « **وهو شاهرٌ سيفه** » إلى فسلطين . .

المــواطنون : « **يهتفون** » الجمالى . . الجمالى . . الجمالى . .

(إظلام)

(ثم تضاء خشبة المسرح . .)

(يظهر أفضل الجمالى واقفًا ، ويدخل مهزومون تظهر عليهم آثار الهزيمة من جراح وملابس ممزقة ، وهم يصيحون)

الجـــنود : هزمنا يا جمالى . . هزمنا يا جمالى . . هزمنا يا جمالى . .

الأفضـــــل : أيها المواطنون . . إن قضية فلسطين قضيتكم . . فهبوا لتحريرها . . إلى فلسطين . .

المواطنون : الجمالى . . الجمالى . . الجمالى . .

(إظلام)

(ثم تضاء خشبة المسرح . . يظهر أفضل الجمالى واقفًا ، ويدخل الجنود ، وهم مهزومون للمرة الثانية . . وتظهر عليهم آثارالهزيمة من جراح وملابس ممزقة وهم يصيحون)

الجـــنود : هزمنا يا جمالى . . هزمنا يا جمالى . . هزمنا يا جمالى . .

الأفضـــــل : أيها المواطنون ، إن معركتنا مع العدو هى فوق كل شىء . . إلى المعركة . .

(ويشهر هنا سيفه ويتجه إلى الخروج من المسرح . .)

المواطنون : الجمالى . . الجمالى . . الجمالى . .

(إظلام)

المشهد الثالث

هـــاتف : وتمضى السنون ثقيلة على اللاجئين المشردين ويستمر العدوان من تلك الدويلات على ديار المسلمين وفى كل مرة تسقط فى يدهم مدن وسهول من ديار المسلمين .

(عند إنارة خشبة المسرح صوت الهاتف يقول)

هـــاتف : بغداد ٥٠٤ هـ الموافق ١١١١م .

مسجد الخليفة المستظهر بالله بقصر الخليفة ببغداد . . . يوم الجمعة ١٤ من شعبان ٥٠٤ هـ الموافق ٢٤ فبراير عام ١١١١ م .

(الخطيب جالس على المنبر ثم يقف ليقول)

الخطيب : الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله .

(يدخل شخص على رأسه عمامة . . يسمى « القاضى ابن الخشاب » ومعه مجموعة من الحلبيين . . أصوات تتعالى . والحرس يمنعونهم من الدخول . .)

المجموعة : دعونا ندخل المسجد .. لنصلى .. أتمنعون الصلاة فى مساجد الله ..

(صار اضطراب شديد بين المصلين حيث تعالت أصواتهم . وابن الخشاب ممسوك من كلتا يديه بين الحرسِ)

الخطيب : أيها الناس .. هدوء .. أيها الناس .. هدوء .. هذا الماثل أمامكم هو القاضى ابن الخشاب .. أتى من حلب ومعه نفر من الحلبيين ..

يا ابن الخشاب ، فى الجمعة الماضية اعتديت على مسجد السلطان .. فأنزلت الخطيب وكسرت المنبر .. وتدخلت أنا شخصيًا لدى السلطان إكرامًا للزهاد والفقهاء ، وهذا الشريف الهاشمى الذى معك . وقد وعدك السلطان بأنه سيرسل الجيوش لإنقاذ المسلمين فى حلب .. ولكنك اليوم تعتدى على مسجد الخليفة وفى حضرة الخليفة ..

(تمر مجموعة من الخدم والغلمان والجوارى والحواشى - تحمل الملابس الفاخرة والأثاث

والحلى والجواهر - من خلف شبابيك المسجد ، بالزغاريد و الأغانى والتصفيق .. بحيث تطغى على صوت الخطيب ..)

أحد المصلين : « لمصل آخر » ما هذا ؟؟

المصلى الآخر : هذه هى السيدة خاتون ، أخت السلطان ، وزوجة الخليفة ، وصلت من أصفهان ..

(هنا يطرح ابن الخشاب الحرس أرضا ، ويندفع إلى المنبر الخشبى المزيَّن بالنقوش والآيات القرآنية لينزل الخطيب ، ينكسر المنبر ويهوى بالخطيب .. الحلبيون يصرخون فى وجه السيدة خاتون ومن معها)

(وهنا يقف الخليفة وينادى على الحرس)

الخـــــــليفة : أيها العسكر .. ألقوا القبض عليهم .. قيدوهم ، ثم خذوهم إلى السجن .. أين السلطان محمد ؟

السلطان محمد : أنا هنا أمير المؤمنين .. لا تغضب .. أرجوك أن تعذر الناس على ما بدا منهم .. فلا حديث فى بغداد إلا ما حل بالمسلمين فى فلسطين .

الخـــــــليفة : أنا لست غاضبًا لما اعترض زوجتى من إزعاج
.. ولكننى غاضب لسبب الشعار الذى يتعالى
فى شوارع بغداد ويقول : « ملك الروم أكثر
إسلامًا من أمير المؤمنين » .

السلطان محمد : الناس يقصدون الرسالة التى وصلت للديوان
من ملك الروم قبل بضعة أسابيع .. والتى كما
تعلمون يطلب الإمبراطور الرومى فيها الاجتماع
لحرب الإفرنج ، واقتلاعهم من هذه الديار .

ابن الخشـــاب : يا أمير المؤمنين ، قُتِل الرجال وسبى الأطفال
والنساء .. على مدى سبعة عشر شهرا احتلوا
وخرَّبوا ثلاثًا من أشهرمدن الشام .. طرابلس
وبيروت وصيدا.. فأية قوة بعد تمنعهم من أن
يكونوا قريبا فى دمشق أو القاهرة .. أو – ولم
لا – فى بغداد ؟!

الخـــــــليفة : « متسائلًا » فى بغداد ؟!

السلطان محمد : (لابن الخشاب) أيها القاضى الفاضل ، لقد
أمرنا الأمير مودود ، أمير الموصل ، بأن يسير
على رأس جيش قوى وينجد حلب .

ابن الخشاب : بارك الله فيك يا أمير المؤمنين ، وبارك فيك

أنت أيها السلطان . .

(يتوجه إلى الحلبيين . .)

ابن الخشاب : « **صائحا** » بشراك يا حلب . . بشراك يا شام . . بشراك يا فلسطين . . جاء النصر . . جاء النصر . .

(ويسدل الستار)

المشهد الرابع

هـــــاتف : مدينة حلب عام ١١١٣ م .

(ترفع الستارة .. يدخل جنود يجرون ابن الخشاب وهو بسلاسله وقيوده .. ثم يفكون قيوده ويتركونه ..)

(يدخل حلبى من الجهة الأخرى لخشبة المسرح ، ويحدق فى ابن الخشاب قائلاً)

الحـــــلبى : من ؟! القاضى ابن الخشاب ؟!

ابن الخشاب : لقد سجننى رضوان - سلطان حلب - .. لا ذنب لى .. وإنما لأننى أحضرت له النجدة من بغداد .. حتى إذا ما وصلت أغلق جميع أبواب سور حلب ، وألقى القبض علىَّ وعلى أنصارى ، وأودعنا سجن القلعة .. ومن يومها لا نعلم ماذا جرى لذلك الجيش الذى كان يقوده الأمير مودود أمير الموصل !!

الحـــــلبى : لقد اختلف القادة مع الأمير مودود ، ورجع مودود وجيشه إلى العراق .

ابن الخشاب : الأمير مودود ، أمير الموصل .. بلاد النفط ، لا يرجع عن المعركة !

الحـــــلبى : **(متسائلاً)** كيف هذا النفط ؟!

ابن الخشاب : عندما زرت الأمير مودود فى الموصل فى عودتى من بغداد ، وكنت أحثه على نجدة حلب ، وجدته رجلاً شهمًا ، رأيت النفط على يمين الطريق إلى الموصل وعلى البعد ترى النار تشتعل فيه إذا أرادوا نقله ..

الحـــــلبى : صحيح إن الأمير مودود شهم .. لقد جاء إلى دمشق لنجدة إخوانه هناك ، لكنه اغتيل يوم الجمعة فى المسجد ..

ابن الخشاب : « **يصرخ وهو يقول** »

قتلوه ؟ .. قتلوه ؟ إن أمةً قتلت عميدها .. فى يوم عيدها .. فى بيت معبودها .. لحقيق على الله أن يبيدها .. **(ثم يقول للحلبى)** سأذهب إلى بغداد وأطلب من السلطان محمد أن يرسل حملة قوية لتزيل العدوان ..

الحـــــلبى : على رسلك يا رجل لقد وصلت الحملة .. وكانت قوية ..

ابن الخشاب : أين هى الآن ؟! وماذا عملت ؟!

الحـــــلبى : وصلت لتجد أن صاحب دمشق وعساكر حلب وطرابلس مع العدو المحتل جنبًا إلى جنب ، فى مواجهة الحملة التى أرسلها السلطان محمد . .

ابن الخشاب : عساكر حلب تقف مع العدو ضد قوات السلطان محمد ؟؟! يا للعار !! يا للعار !!

الحـــــلبى : لكن الملك رضوان مريض . .

(يدخل رجل وهو يصيح)

الــــــرجل : مات الملك رضوان !! مات الملك رضوان !!

ابن الخشاب : (يصيح بعده) يا أهل حلب . . الثورة . . الثورة . . يا أهل حلب الثورة . . الثورة . . يا أهل حلب الثورة . . الثورة . .

(إظلام)

هـــــاتف : وبعد مرور اثنتى عشرة سنة . .

(يضاء المسرح)

(يدخل ابن الخشاب مزهوا ، وهو يقول) :

ابن الخشاب : لقد قمنا بالثورة . . ونصبنا قائدًا جديدًا على

حلب لقد بلغ صلف الإفرنج حدود اللامعقول
.. فقد اجتاحوا سيناء بجيش صغير ..
واحتلوا مدينة الفرمة ، وبلغوا ضفاف النيل ..
وسبحوا فيه ، وكان بالإمكان أن يصلوا إلى
أبعد من ذلك .. إن الأفضل الجمالى لم
يتمالك نفسه من هذه المهانة الجديدة التى
لحقت به .. نحن هنا فى حلب انتصرنا على
العدو ، وهزمناه شر هزيمة في إنطاكية على نهر
العاصى .. لقد تدخلت بنفسى لتحقيق الاتحاد
بين حلب والموصل وقد تحقق هذه الأيام ..
وسيكون بإذن الله نواة لدولة قوية لن تلبث أن
تَرُدَّ بنجاح على صلف الإفرنج وعجرفتهم ..
وإننا من هنا ، ندعو كبار القادة إلى مجاهدة
الغزاة .. وتحرير فلسطين ..

(يتقدم شخص ... ويطعن ابن الخشاب فى صدره ..)

(يتشهد ابن الخشاب متألمًا ..)

ابن الخشاب : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

(يخر ابن الخشاب صريعًا على الأرض بينما مجموعة تحاول إسعافه ، ومجموعة أخرى تركض خلف الجانى . .)

(إظلام)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(أصوات قذائف المنجنيق تتساقط ..)

هاتف : مدينة القدس فى السابع والعشرين من رجب عام ٥٨٣ هـ ، الموافق الثانى من أكتوبر عام ١١٨٧ م .

(ترفع الستار)

(تستمر أصوات القذائف للحظات .. تظهر مدينة القدس كما فى الفصل الأول . من ناحية حارة المغاربة . يدخل شابان من المقدسيين مندفعين ..)

عيسى : إنه الفرج ..

إبراهيم : ثمان وثمانون سنة من احتلال الفرنجة للقدس .. ثمان وثمانون سنة من الذل والمهانة .

عيسى : لكن الفرج قريب .

إبراهيم : أى فرج هذا ؟

عيسى : قدوم صلاح الدين .. صلاح الدين قادم ، وها هى قذائفه تسقط على رءوس الفرنجة .

إبراهيم : يعنى أن صلاح الدين بعد أن فرغ من فلسطين اتجه إلى صيدا وصور ، ثم رجع إلى عسقلان .. وعندما احتل الرملة ترك أميرها الفرنجى باليان ، والذى كان لديه فى الأسر ، يأتى إلى القدس وينظِّم الصليبيين فى القدس .. كنت أظن أن صلاح الدين لن يأتى للقدس .

و(يرفع يديه بالدعاء)

إبراهيم : اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

(سكون)

(إبراهيم يدعو فى السر رافعًا يديه .. وإذا بضوء كالبرق وصوت كالرعد يضىء المسرح ..)

الهاتف : إنها قذائف المنجنيق تتساقط على مدينة القدس

(يدخل الجنود الفرنجة يقودهم الأمير باليان وهم يبحثون عن المسلمين)

باليان : **(مضطربًا)** صلاح الدين اقتحم القدس .. ثم **(مستفسرًا)** كم جمعتم من المسلمين ؟

أحد الجنود : خمسة آلاف .

باليان : **(يشير إلى إبراهيم وعيسى)** خذ هذين معهم .

(باليان ينظر من خشبة المسرح ، بينما يدخل صلاح الدين ، ومعه مجموعة من الرجال ، من بداية الصالة متقدمين إلى ناحية خشبة المسرح ، والأضواء مسلطة عليهم .. حتى إذا ما وصل صلاح الدين إلى أمام الخشبة نظر إلى باليان وهو يقول)

صلاح الدين : من ؟ باليان ؟ باليان ، كذبت علىّ بعد أن أطلقت سراحك واستأذنت فى الرحيل إلى القدس ، لتعود بامرأتك وأولادك ، وأقسمت ألا تمكث فيها إلا ليلة واحدة ، والآن أنت الذى تقود الجيوش فى القدس ؟ !

باليـــــان : أنا مبعوث من قبل الفرنجة . جئتك للتفاوض، ونحن على استعداد أن ندفع مائة ألف دينار .

(صلاح الدين يمسك بيد باليان وينزله من على خشبة المسرح .. ثم يشير إلى جهة اليمين وهو يقول)

صلاح الدين : انظر للأعلام الصفراء التى أخذت تخفق فوق عدد من أسوار القدس .

(ثم يشير إلى الجهة اليسرى وهو يقول)

صلاح الدين : انظر إلى العلم الذى يرفعه رجالى فوق الثغرة التى أحدثوها فى السور القديم . . هل لمدينة وقعت فى الأسر أن تضع شروطًا للصلح ؟!

(يدخل بعض جنود صلاح الدين ، وقد أسروا عددًا من قادة الفرنجة الذين يركعون على الأرض أمام صلاح الدين)

باليـــــان : أيها السلطان ، إن فى المدينة خلقًا كثيرًا لا يعلم عددهم إلا الله ، وهم إنما يفترون عن القتال رجاء الأمان ، ظنًا منهم أنك تجيبهم عليه ، كما أجبت غيرهم .

(يصعد صلاح الدين ومن معه إلى خشبة المسرح صعود المنتصرين الفاتحين)

صلاح الدين : نصارى القدس يسمح لهم بالإقامة فى البلاد . . وبالتمتع بحقوقهم المدنية كاملة . . هل تعلمون أيها القادة ، أنهم كانوا يراسلوننى ويطالبون تخليص القدس من الفرنجة ؟! أما الفرنج واللاتين غير المحاربين ، الذين يرغبون فى البقاء ، فيجب أن يقيموا بوصفهم رعايا .

أما المحاربون فيجب أن يرحلوا عن فلسطين
ولهم علينا سلامة الوصول بحراسة جنودى إلى
الساحل ، وعليهم فدية . . ففدية الرجل عشرة
دنانير شامية . . وخمسة دنانير للمرأة ، ودينار
واحد للطفل ، فمن عجز عن أداء الفدية أُخذ
أسيرًا ، ويجب أن ترحلوا خلال أربعين يومًا .

باليـــــــان : قبلنا ذلك .

صلاح الدين : خذ جماعتك واخرج .

(يخرج القادة الفرنجة)

صلاح الدين : « **لقادته** » أيهاالقادة . . تعالوا لأوصيكم
بالترتيبات التى يجب أن تتخذوها لإدارة مدينة
القدس .

**(قائد مجموعة من الجنود ينادى فتتجمع منهم
ثلة)**

قائد المجموعة : جنود . . انتظام . .

**(يدخل الجنود إلى خشبة المسرح ، ويأخذ
القائد صلاح الدين بالمرور عليهم للتفتيش . .
بعد الانتهاء من التفتيش ، يتوقف قبالتهم
قائلاً)**

صلاح الدين : عليكم بالمحافظة على كل بيت من النهب ، وألا يصيب أى إنسان أذى .. وعليكم حراسة الطريق وأبواب المدينة .. وعليكم حماية المسيحيين من أى اعتداء قد يصيبهم .. وعلى قادة الفرق توزيع المال والدواب على المرضى والمسنين والمحتاجين من الفرنجة .. أوصيكم برعاية الضعفاء وإكرام النساء والرأفه بالأطفال ..

(ما أن ينتهى صلاح الدين من حديثه حتى يسمع صوت)

البطـــــــريرك : اتركنى ، اتركنى ، ماذا تريد منى ؟

قائد المجموعة : إنها أوامر صلاح الدين .. لن نتركك تخرج بجميع هذه الأموال .

(يدخل قائد المجموعة دافعًا البطريرك اللاتينى ايراكلوس ، وكان أول من غادر القدس ، عندما همَّ بعض القادة بأخذ الأموال والجواهر التى كان يحملها)

أحـــــد القادة : لن نتركه يخرج بجميع تلك الأموال ..

صلاح الـــدين : ماذا يجرى هنا ؟

أحـــــد القادة : أيها السلطان .. هذا هو البطريرك ايراكلوس يريد الخروج من القدس وهو يحمل معه أموالاً وجواهر .. أرى يا مولاى أن تأخذ ما معه لتقوى به المسلمين .

صلاح الدين : لا .. لا أغدر به .

(يتقدم صلاح الدين ويخرج عشرة دنانير من الصندوق ويشير للبطريرك بالرحيل ..)

صلاح الدين : يمكنك الآن أن ترحل بما معك .

أحـــد القادة : **(وهو ينظر للدنانير فى يد صلاح الدين)** عشرة دنانير فقط ؟

صلاح الــدين : الوفاء خير .

صوت فتـــاة : **(تصيح بالجنود خلف الكواليس)** اتركونى .. اتركونى ..

صلاح الـــدين : من هذه الفتاة الغاضبة ؟

قائد المجموعة : مولاى .. إنها فتاة فرنسية من بين الأسرى الذين أعتقتهم .. ترغب فى التحدث إليك .

صلاح الدين : اتركوها .. دعوها تتقدم ..

(تتقدم الفتاة الفرنسية إلى صلاح الدين قائلة بغضب)

الفتاة : لقد قتلت أبى .. أيها المجرم السفاك ، وأسرت أخواى، فلم يعد لى عائل . وها أنت تمن على بالعتق كيما يزداد بلائى .

(يبتسم صلاح الدين ويواجه الجنود قائلاً)

صلاح الدين : أحضروا أخويها حالاً وأطلقوا سراحهما فورا . **(يلتفت للفتاة موضحًا فى هدوء)** أما أبوك فقد قتل فى حرب هو الذى أشعل نارها ، واعتدى بها على القوم الآمنين ، وأما أخواك فإنى أطلق سراحهما إكرامًا لامرأة فى حاجة إلى العائل والمعين .

الفتاة : عفوك أيها السلطان .. إن ثورة الغضب هذه سببها ما كنت أسمعه فى بلادى عن ظلم المسلمين ، وحزنى على والدى .. أرجو صفحك وكرم عفوك .

(يعود قائد المجموعة مخاطبًا صلاح الدين)

قائد المجموعة : لقد أُطلق سراح أخويها ..

صلاح الدين : **(مخاطبا الفتاة)** يمكنك أن تنضمى إلى أخويك ..

الفتاة : إننى أشكرك أيها المسلم الكريم .. وأرجو

عفوك وصفحك مرة أخرى .

صـلاح الدين : إلى أين أنت ذاهبة الآن ؟

الفــــتاة : إلى بلادى .

صلاح الدين : وماذا أنت قائلة لقومك ؟

الفــــتاة : أقول لمتعصِّبيهم كلمة الحق فى الإسلام والمسلمين .

(هنا ينطلق صوت الأذان)

المــــؤذِّن : الله أكبر . . الله أكبر . .

(إظلام تام)

المشهد الثانى

هاتــــــف : مدينة القدس عام ٦٢٧ هـ ، الموافق عام ١٢٢٩ م .أى بعد ٣٢ سنة من تحريرها على يدى صلاح الدين .

(على خشبة المسرح يجلس إبراهيم يستند إلى الجدار ، حيث حارة المغاربة ، وقد بدا عليه الكبر ، ولحيته بيضاء .

يصل عيسى ، وقد بدا عليه الكبر هو الآخر)

عيســــــــى : السلام عيك يا أخى إبراهيم .

إبراهيــــــم : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، ما الأخبار يا عيسى ؟

عيســــــــى : يقال إن الكامل سلطان مصر - بعث رسوله الأمير فخر الدين يوسف إلى شمال الشام للتفاوض مع الإمبراطور الذى وصل إلى هناك .

إبراهيــــــم : إفرنجى ؟

عيســــــــى : نعم .

إبراهيــــــم : هذا الكامل ، قبل ثمانى سنوات ، عندما احتل

الفرنجة دمياط ، تنازل عن فلسطين بأكملها لهم مقابل الجلاء عن دمياط !

عيسى : نعم ، لكن الكامل حاربهم عندما رفضوا عرضه ، لأنهم كانوا يطالبون بأكثر من فلسطين ، وهزمهم . .

إبراهيم : صحيح أنه هزمهم . . لكنه وقع معهم اتفاقية السلام .

شخص : (**ينادى من بعيد**) يا أهالى القدس . . هذا القاضى شمس الدين ، قاضى نابلس ، مرسلٌ من قبل الكامل سلطان مصر والشام – لتسليم القدس للإمبراطور .

(**هنا يهبُّ الشيخان إبراهيم وعيسى**)

إبراهيم : (**لعيسى**) هل تسمع ما أسمع ؟

عيسى : نعم . .

المنادى : (**يدخل إلى خشبة المسرح وهو ينادى**) يا أهالى القدس ، هذا القاضى شمس الدين – قاضى نابلس – مرسل من قبل السلطان الكامل – سلطان مصر والشام – لتسليم القدس للإمبراطور .

(هنا يدخل القاضى شمس الدين وهو يحمل مفاتيح القدس والاتفاقية المعقودة بين الكامل والإمبراطور . ويدخل مع القاضى شمس الدين الإمبراطور ومعه حاشيته ، وأهالى القدس . . يتجمعون على خشبة المسرح)

شمس الدين : يا أهالى القدس ، لقد وقَّع السلطان الكامل مع الإمبراطور اتفاقية للسلام بينهما . . إليكم بنودها :

- تُمنح للصليبيين القدس وبيت لحم والناصرة وجنين وصيدا .

- تبقى القدس على ما هى عليه ولا يجدد سورها .

- أن تكون سائر قرى القدس للمسلمين لا حكم فيها للفرنج .

- إن الحرم ، بما حوى من الصخرة والمسجد الأقصى ، يكون بأيدى المسلمين ، لا يدخله الفرنج إلا للزيارة ، ويتولاه قوَّامون من المسلمين ، يقيمون فيه شعائر الإسلام من الأذان والصلاة .

لكن يا أهالى القدس ، بأمر من السلطان الكامل ، يجب التوقف عن الأذان فى الفترة خلال إقامة الإمبراطور فردريك الثانى فى القدس .. احترامًا لشعوره ..

(ثم يسلِّم القاضى شمس الدين مفاتيح القدس للإمبراطور ، فينطلق الصراخ والعويل من النساء ، أما الرجال فقد أخذوا يحتجون بالصياح والتكبير)

أحدهـــــــم : لا إله إلا الله .. ما الداعى لهذا .. لا تسلموا القدس .. لا توقفوا أذان الصلوات فى الأقصى ..

(ويبدأ الأذان)

(تنضم مجاميع من الأهالى إلى الأذان مرددة)

المجموعـــــة : الله أكبر .. لا إله إلا الله .. محمد رسول الله ..

(هنا ينفجر الغضب ويبدأ الأئمة والمؤذنون بالأذان)

(يجرى ضرب أهالى القدس بالحراب والسيوف فيقابلون ذلك برمى الحجارة ..

يتم اعتقال البعض .. جرح البعض .. وقتل البعض ..)

(المجموعة تحمل شهداءها وتخرج مرددة ..)

المجموعـــــة : الله أكبر .. الله أكبر ..

(إظلام ثم يضاء المسرح)

هــــــاتف : ووضعت الاتفاقية موضع التنفيذ فنودى بالقدس ..

المـــــنادى : ليخرج المسلمون من القدس .
تسلَّم القدس للفرنجة .

(الجنود يطردون المسلمين الذين غلب عليهم البكاء والعويل والصراخ . الإمبراطور فردريك الثانى يتوج نفسه .. ويعلن فى جنوده)

الإمبراطــــور : اشكروا الله واحمدوه إذ أتم عليكم نعمته ، فإن إتمامها كان معجزة من الله وليس نتيجة الشجاعة أو الحرب . وما أتمه الله لم تستطع قوة من قوى البشر على الأرض إتمامه ، لا بكثرة العدد ، ولا بالقوة ، ولا بأى وسيلة .

(هنا تحتج ثلاث مجموعات من المسيحيين)

المجموعة الأولى (**غلاة المسيحيين**) : بيت المقدس لم يُسترد بقوة السلاح . والمسلمون ما زالوا يحتفظون بالمشاعر الإسلامية . فى الحملة الصليبية الخامسة ، السلطان الكامل عرض التنازل عن كل فلسطين . نحن نطالب بإضافة إقليم ما وراء نهر الأردن .

المجموعة الثانية (**الفرسان الداوية**) : نحن نحتج لبقاء المعبد فى أيدى المسلمين .

المجموعة الثالثة (**النبلاء المحلّيون**) : الحدود ليست صالحة من الناحية العملية .

(**الإمبراطور فردريك الثانى وهو يشق طريقه بين المحتجِّين**)

الإمبراطـــــــور : إنى ذاهب لأشهد القدّاس فى كنيسة القيامة .

(**إظلام**)

المشهد الثالث

هاتـــــــف : مدينة القدس عام ٦٤٢ هـ الموافق عام ١٢٤٤ م .

(يجلس رجل مسن ومعه زميل له)

الرجل المسن (١) : ما هذا الواقع المرير يا قدس ؟!

خمسة عشر عامًا من الاحتلال والذل والهوان

. . يا قدس . .

من لى بتحرير القدس ؟!

هذه الدول المتناحرة . .

الرجل المسن (٢) : من لى بتحرير القدس ؟!

هذه القلوب المتنافرة .

من لى بتحرير القدس ؟!

من لى بتحرير القدس ؟!

(يسمع صوت مجموعة من الرجال ، وهم يتقدمون من أعلى الصالة من خلال الممر بين صفوف المشاهدين ، ويقود كل مجموعة قائد يتقدمها)

المجمـــــــوعتان : جهاد . . جهاد . .

قائد المجموعة (١): فى سبيل الله

المجموعتان : جهاد .. جهاد ..

قائد المجموعة (٢) : فى سبيل الله

(وتستمر تلك الهتافات)

الرجل المسن : (يلتفت إلى زميله متسائلا) ما هذه الأصوات ؟

الرجل الثانى : (وهو ينظر من على خشبة المسرح)
انظر .. انظر .. إنهم المسلمون الخوارزمية الأشداء .. ألف مقاتل حرروا المدن وطردوا الفرنجة إلى بلادهم .. الله أكبر .. الله أكبر ..

الرجل المسن : جاء النصر يا قدس .. جاء النصر يا قدس ..

(هنا يتجمع الفرنجة على تلك الأصوات ، ويقتل الرجل المسن وزميله ، وتكون المجموعتان قد وصلتا إلى خشبة المسرح وأصواتهما تدوى . ينهزم الفرنجة بعد سقوط عدد من القتلى ، ويسقط العلم الإفرنجى أرضًا ، كما تهرب مجموعة من الفرنجة إلى الصالة بين الجمهور)

المجموعـــــتان : (يرددون) الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر . .

أهالى القـــــدس : الله أكبر كبيرا . . والحمد لله كثيرا . .
وسبحان الله بكرة وأصيلا . .
لا إله الله وحده . .
صدق وعده . .
ونصر عبده . .
وأعز جنده . .
وهزم الأحزاب وحده . . لا شىء قبله . .
ولا شىء بعده . .

(بينما الدعاء مستمر . . ينفعل واحد من المجموعة ويأخذ العلم الإفرنجى الساقط على الأرض ثم يرفعه ملوحًا به ، وزملاؤه يحاولون أخذ العلم منه . . ويصادف ذلك نهاية الدعاء . .)

(واحد من الإفرنج الذين هربوا إلى الصالة)

الإفــــرنجــــى : إنه علمنا يرتفع . .

إفرنجى ثـــــان : انتصر الإفرنج . .

إفرنجى ثالث : لنعد للقدس . .

(تتجه تلك المجموعة إلى خشبة المسرح .. وهناك يقوم المسلمون بقتلهم ..)

المجموعتان : **(يرددون)** الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر ..

أهالى القدس : الله أكبر كبيرا .. والحمد لله كثيرا ..
وسبحان الله بكرة وأصيلا ..
لا إله إلا الله ..
وحده ..
صدق وعده ..
ونصر عبده ..
وأعزّ جنده ..
وهزم الأحزاب وحده .. لا شيء قبله ..
ولا شيء بعده ..

(ستار النهاية)

الفهرس

- المسرح السياسى عند الشيخ الدكتور /
سلطان بن محمد القاسمى (جدول الراهن والتاريخ)
بقلم أ.د. محمد حسن عبد الله ٥
- عودة هولاكو ٤٩
- القضية ٩٥
- الواقعُ : صُورةُ طِبقُ الأصلِ ١٤٩

صدر من هذه السلسلة

23- عليك تتكىء الحياة .... ممدوح عدوان

24- حكاية زهرة .... حنان الشيخ

25- ليس فى رصيف الأزهار من يجيب .... مالك حداد

26- أهل الهوى .... هدى بركات

27- النحنحات ورائحة الخطو الثقيل .... إبراهيم صموئيل

28- ممالك ضائعة .... على جعفر العلاق

29- قمر شيراز .... عبد الوهاب البياتى

30- عزيزى السيد كواباتا .... رشيد الضعيف

31- سهل الغرباء .... صلاح الدين بوجاه

32- صيف لن يتكرر .... محمد برادة

33- كتاب الأيام والأنام .... جمال أبو حمدان

34- طيور الحذر .... إبراهيم نصر الله

35- وليمة لأعشاب البحر .... حيدر حيدر

36- ضو البيت – مريود – دومة ود حامد .... الطيب صالح

37- صيف افريقى .... محمد ديب

38- مخطوط فى العشق .... محمد القيسى

39- إنه جسدى .... نبيلة الزبير

40- أنشودة المطر .... بدر شاكر السياب

41- الست مارى روز .... إيتل عدنان

42- الفراشة الزرقاء .... ربيع جابر

43- الحى اللاتينى .... د. سهيل إدريس

44- الظاهرة القرآنية . . . . لمالك بن نبى
ترجمة د. عبد الصبور شاهين
45- قرطاج . . . . عز الدين المدنى
46- قرارة الموجة . . . . نازك الملائكة
47- قصائد متمرِّدة . . . . شعر : أحمد مشَارى العَدوانى
اختيار وتقديم : د. محمد حسن عبد الله
48- الوردة تموت . . . . شعر : محمد عزيز الحبابى
ترجمة : أحمد عثمان
49- المصابيح الزرق . . . . حنا مينه
50- السفينة . . . . جبرا إبراهيم جبرا
51- أغانى الحياة . . . . أبو القاسم الشابى
52- اللهب المقدس . . . . لمفدى زكريا
53- رأيت رام الله . . . . الشاعر : مريد البرغوثى
54- حُنُو الضمة . . سمُوُ الكَسرة . . . . محمد الفقيه صالح
55- حدث أبو هريرة . . قال . . . . محمود المسعدى
56- النبوءة : مسرحية شعرية . . . . د. خالد محيى الدين البرادعى
57- القصة السعودية المعاصرة . . . . اختيار وتقديم : د. طه وادى
58- زهرة الصندل . . . . وليد إخلاصى
59- العلامة . . . . بتسالم حِميش
60- إشراقة . . . . التجانى يوسف بشير
61- النهر المسافر . . . . البيلى عبد الحميد
62- نشيد الحياة . . . . يحيى يخلف
63- ثلاثة مسرحيات قصيرة . . . . د. سلطان بن محمد القاسمى

من أعدادنا القادمة

- قصائد الوجد والدم مختارات من شعر فدوى طوقان

اختيار د. محمد زكريا عنانى

- انكسارات القلب الأخضر

– مختارات من قصص عبد العزيز مشرى

– اختيار وتقديم : سمير الفيل

- هكذا يغنى طائر الأرز – مختارات من شعر هدى ميقاتى

اختيار وتقديم : إسماعيل عقاب

- رحلة الغرناطى .... ربيع جابر
- مصرع الماس .... ياسين رفاعية

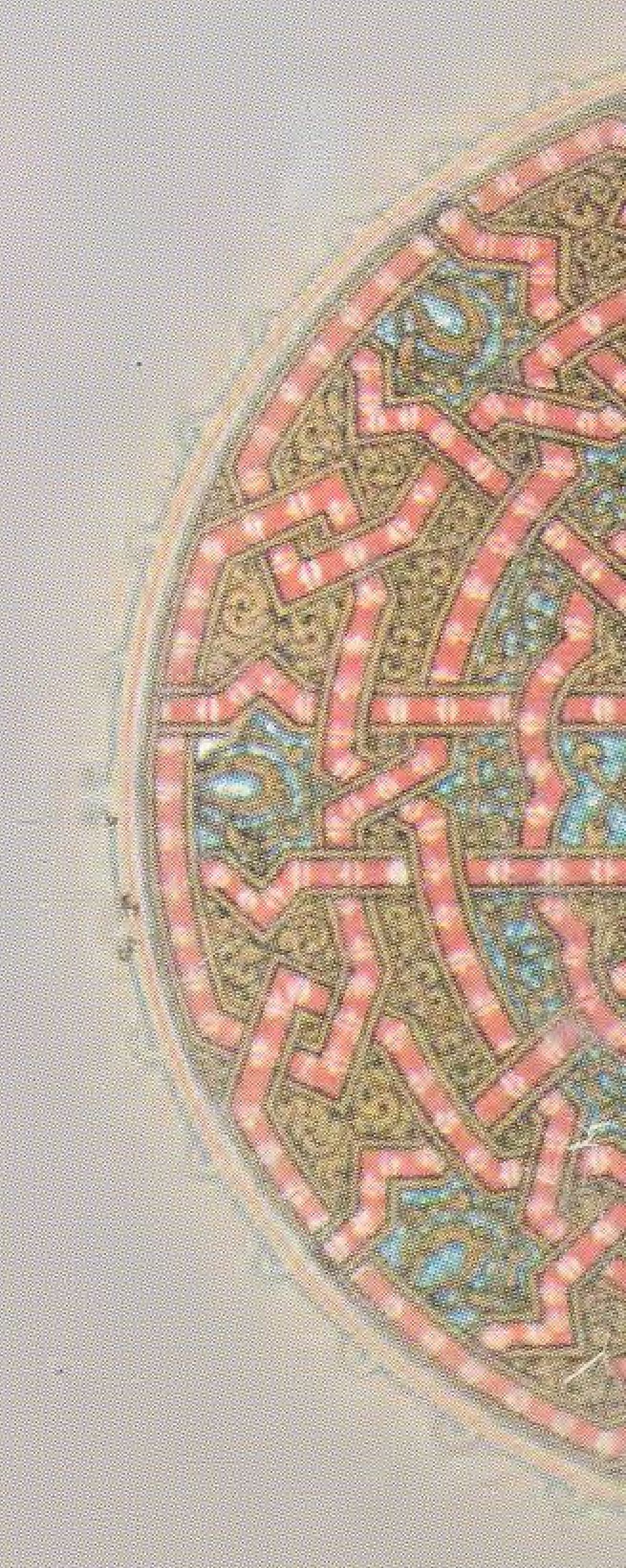
الهيئة العامة لقصور الثقافة
آفاق عربية / شهرية / العدد : 63
ثلاث مسرحيات قصيرة / د. سلطان بن محمد القاسمى

رقم الإيداع / ٧٥٣٣ / ٢٠٠٣
I.S.B.N: 977 - 305 - 414 - 4

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر
☎ : ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٤
e-mail: pic@ 6 oct.ie-eg.com

آفاق عربية



هذه المسرحيات صغيرة الحجم ، ولكنها مهمة فى هذه الفترة من فترات تاريخنا المعاصر الذى تواجه فيه الأمة العربية الإسلامية مصاعب كثيرة ، تحتاج إلى الأمثلة التاريخية التى تشحذ فيها الهمم ، وتبثُّ الثقة فى النفوس .

الثمن : جنيهان

الشركة الدولية للطباعة